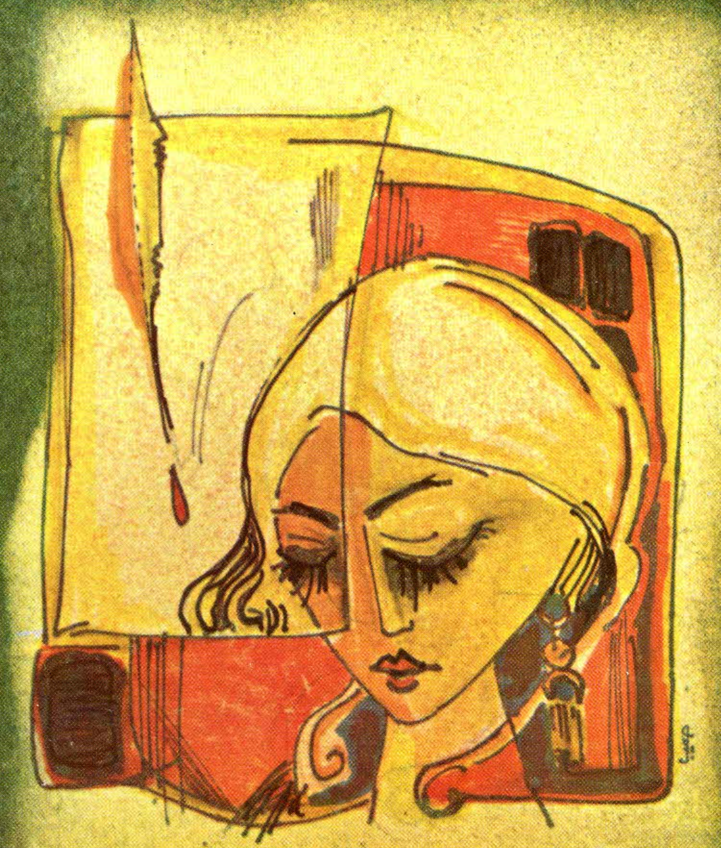
إسماعيل فهد إسماعيل

الضفاف الأخرى



دار العودة - بيروت

اسماعيل فهد اسماعيل

الضفاف الأخرى

رواية

دار العودة . بيروت

الاهداء :

الى .. محسن براك

اسماعيـــل

الغلاف : سبيكة الحشاش

كلمــة ..

((كانت السماء زرقاء)) . ((المستنقعات الضوئية)) .
((الحبل)) . روايات قصيرة ثلاث .

((الضفاف الاخرى)) محاولة لمتابعــة بعض شخوص
الروايات الثلاث السابقة ضمن خط زمني واحد متطور .

ضيف الحدث : ((كريم البصري)) ... مستوحى الى
حد ما من شخصية ((كريم الناصري بطل رواية ((الوشم))
للكاتب العراقي عبد الرحمن مجيد الربيعي .

المؤلف



العمل ، العمال ، المصنع ، مشارف المدينة ، السياج، الآلات . الضجيج ، ١٢٠٠ عامل ، ساعات العمل . ظروف العمل . الاجور .

احمد عبدالله ... عامل فني .

جعفر علي ... عامل فني .

ارتفاع الاسعار . غلاء المعيشة .

ـ وعندما استلقي على فراشي ينز التعب من جميع مسامات جسدي .

انا عاجز ـ حتى ـ عن مضاجعة زوجتي .

ـ انا لم اتزوج بعد . الزواج يحتاج الى مال،والمال ..

ساعات العمل . غلاء المعيشة . ارتفاع الاسعار .

ـ العيد على الابواب . حاولت الاستدانة . انت بحاجة الى ثـوب جديد !

ـ ثوب العيد الماضي ما يزال صالحا .

كاظم عبيد .. عامل فني .

ـ ظروف العمل في الكويت افضل . رغم ...
ـ الارباح التي يحققها المصنع تكاد .. واجورنا لا ..
ـ ايام كنت احترف السرقة ...

كريم البصري ... أمين مخزن .

مساعد مدير . استحداث وظيفة . الاضراب . الاسماء . قائمة جديدة . فاطمة .

ـ اجمل منها ؟ .. لا .
ـ تساقطهم الذليل امامي ...

فاطمة ... السكرتيرة .

ابنك . الليل . الغياب . الشوق . الفراش . العمل . العمال . المدير .

ـ لا بد من احتفال صغير بالمناسبة !
ـ ظروف عملي ...

١٢٠٠ عامل . التدابير الرادعة . سري . فورا . سريع . مشارف المدينة . الآلات . الصخب . الاجور ..

ـ قدمنا التماسا الى المدير . المدير الى المديرية . المديرية الى الرفض .

★ ★ ★

الزاير ... مطلوب فراش .

فاطمة ..

اليوم الأول

١

(١)

في الباص ، والناس ، والهواء المشبع بنداوة الربيع ، والعيون عندما تسقط على الوجه وتستقر تخلق تآخيا يتوق الى تواصل معين .

« ـ مثيرة انت دونما حاجة للرتوش ... »

« هـذه الالوان تذهب بجاذبيتك ... انت مثيـرة دونما ... »

كلماتك تنحتني من الداخل .. تاكلني من الداخل ، وعيون ابنك تبحث عنك في وجهي .

انا احبك ... انا بحاجة اليك . بامس الـ ...

لا بأس ، فالدموع لن تفســد المكياج ما دام الاخيـر معدوما ، وأنت في العدم . لافترض بانك العدم ... وابنك الـذي ...

★ ★ ★

الدموع تجف ان لم تغادر الجفنين ، والباص حينما يقف فالعينان تنشدّان الى امام . ثم الشارع . الساعة ـ كنت تكره وضعها في معصمك ـ هي الثامنة ، وتكره ان تغادر الفراش في الثامنة ،لكنهم بدأوا العمل منذ ساعتين .

★ ★ ★

جدران المصنع ... وعند البوابة الرئيسية بدلة زرقاء .

احمد ... عامل في المصنع . نظيف . اسمر . وسيم ...

لو انني منذ بداية البداية التقيت بانسان مثل احمد ... اما كان بالامكان ...

واحمد ينظر اليها باكبار يبعث الثقة بدواخلها المتعبة ، فتتسع الابتسامة .

ـ صباح الخير .

ـ صباح الـ ...

ورقة مطوية تمتد بها يد احمد . اصابعها تلامس اصابعه . الثقة . ثم الاصوات .

الصخب . العمال . الآلات . الرائحة . الدهاليز . باب الغرفة . الهدوء . الورقة المطوية . الورقة مفتوحة .. **اخواننا العمال ...**

الاجور ... الظروف الاحسن ... الدمقراطية .. العمل ..

... الاجـور ... غـلاء المعيشـة ... مطالبنا او الاضراب ..

الورقة ـ ثانية ـ مطوية . حقيبة اليد .

★ ★ ★

(١) ... ثوبها بلون السماء . عيناهـا اطمئنان . في الماضي .. هي احـــدى شخصيات رواية ((كانت السماء زرقاء))))

اسمها الحالي ((فاطمة)) بدلا من لقبها السابق ((ذات الثوب الازرق)) .

٢

مطالبهم أو الاضراب !

وأنت في العدم . هذا الغياب الحقير الـذي يتمثـل بسنوات أربع . . أليس عدما ؟!

وانا الغبية التي كانت ولا زالت تنتظر خبرا . . رسالة . . بطاقة بريد . . وأحيانا أنام ، وأحلم بك عائدا .

وما كنت أستطيع النوم الا ووسادتي كتفك . لو أدري أين أنت على الأقل ؟! . . البعض يقول :

ـ هاجر الى كندا . .

وآخرون :

ـ الى قبرص . . .

وأنت :

ـ في العدم . . .

★ ★ ★

كل شيء كان عاديا قبل لقائي بك . أنا معلمة ، أعيش مع الأطفال، بين الأطفال . لي تطلعاتي الصغيرة وآمالي بزوج طيب وبيت متواضع ، وفجأة دخلت حياتي ... تزعزعت حياتي ، وبدأت عيناي تتفتحان على وجود جديد .

أسلمت قيادي اليك . كنت أشبه بمتطفلة على عوالمك الرحيبة ، منسلخة عن عوالمي الضيقة .

وأذكر أول ما أذكر اضراب طلبة الجامعة . أنت ما كنت طالبا ، لكنك كنت تتحرك كمثل بندول . بدأت أخاف عليك .

ـ لماذا هكذا ؟!

ـ المشاغل الفردية تنمحي في مشاغل المجموع ..

ـ ولكن ...

ـ المواجهة الفعلية تخلق الوعي .

وقتها لم أستوعب المعنى ، أما وبعدماهربت منمواجهة كل شيء ..

هربت من مشاغلنا ومشاغل المجموع ...

وبالرغم من كل تناقضاتك فكلماتك ..

ـ لا يتخلق الفرد بصورة جيدة الا من خلال التنظيم.

أهي محاولة لتبرير عجزك ؟!

ـ لم أدخل التنظيم بعد .

أم هي هرب من المسؤولين ؟!

★ ★ ★

مطالبهم أو الاضراب !

أنا الان لا انتمي لتنظيم فهل ....

والآخرون ... العمال ، أحمد عبدالله ، وفي الجـانب الثاني ...

ـ صباح الخير ... كيف حالـك اليـوم ؟!.. أنت تجهدين نفسك في العمل ...

ـ أنا أقوم بواجبي .

ـ أنت تبذلين جهدا كبيرا ... أنا رفعت كتاب توصية الى المديرية العامة بضرورة استحداث علاوة طبيعة عمل لك انت بالذات .

لكني مع المدير اتعامل بشخصيتين . **هو** ... لا يرى في سكرتيرته الخاصة فقط !.. وكل الذي وصل اليـه .. انه يجسر أحيانا فيضع يده على كتفي ...

ـ لا بد من احتفال صغير .. اذا وصلت الموافقة على العلاوة !

٣

المكان : غرفةالسكرتيرة
الحالة : مشروع توظيف
المرفقات : ملف
الاشخاص :
١ ــ فاطمة
٢ ــ الزاير ... (١)

يفتح الباب بهدوء . يدخل رأسه . فاطمة مكبة على المكتب . يدخل باحتراس . يقف في منتصف الغرفة . فاطمة ما زالت مشغولة .

الزاير : « مرحبا يا بنت » .

تستنفز . ترفع وجهها اليه .

فاطمة : نعم !

يتلعثم . يمد يده بالملف .

فاطمة : ما هذا ؟!

الزاير : أنا .. أنا ... رئيس السجانين .

رد الفعل . الدهشة . الملف يرتجف .

فاطمة : أنت ماذا ؟!

الزاير : « عفوا » ... أقصد ... أنا ... أنا رئيس الفراشين .

الدهشة أقل ، مصحوبة بضيق غاضب .

فاطمة : أنت ماذا ؟!

الزاير : « عفوا » ... أقصد أنا طالب وظيفة الفراش . المدير قال لي : « اذهب بالملف الى السكرتيرة ، وستتولى هي الأمر » .

الحيرة على وجهه . في الخمسين وعلى وجهه تعابير طفل حائر . تبتسم لأول مرة .

فاطمة : اجلس .

يتردد . يتلفت . يجلس . وفي عينيها التماع حنون .

« يهمهم » الزائر : لا حول ولا ...

فاطمة : ولماذا قلت .. « انا رئيس سجانين ؟! »

اصابعها تتصفح الملف .

الزاير : لعن الله خطأ اللسان !.. هي وظيفتي السابقة .

الاطمئنان يتصاعد الى وجهه . فاطمة تدقق النظر في الملف . تقرأ :

فاطمة : الوظيفة السابقة رئيس سجانين .

ترفع وجهها اليه .

فاطمة : من رئيس سجانين الى فراش !!

الزاير : المهم ان أعيش !.. أنا تركت وظيفة رئيس سجانين ... أعني .. فصلوني منها .

تعود تتصفح الملف .

فاطمة : أوراقك ناقصة !.. أين شهادة عدم المحكومية ؟

ينهض . يده الى جيبه .. يخرج ورقة . يقترب . يمدها . يظل واقفا . الورقة في يدها . تعقد حاجبيها . ثم تعود تبتسم . تتسع الابتسامة . تتحول الى ضحكة جذلة قصيرة .

فاطمة : هذه الورقة تثبت بأنك كنت سجينا !!

الزاير : سجنوني لاني ضربت مدير السجن .

الضحكة أكبر . الزاير يقترب أكثر . نصفه الأعلى الى أمام . يستعين بيديه موضحا .

الزاير : « عفوا » ... أعني .. مدير السجن اراد ان يضرب أحد المساجين فضربني .

الضحكة كركرة منطلقة .

فاطمة : ماذا ؟!

طرقات مرنة على الباب .

★ ★ ★

(١) الزاير ... طويل كعملاق . ليس بدينا . نصفه الأعلى ينحني الى امام قليلا ، وكأنه يهم يهمس . صوته عميق . خشن . يصدر من أسفل حنجرته .

كان واحدا من شخوص رواية ((المستنقعات الضوئية))
وظيفته السابقة رئيس سجانين .

أمي ، أو يكاد ، لكن سنوات خدمته الطويلة ـ في السجن ـ واخلاصه في العمل ، وتفانيه ، كل ذلك أوصله الى منصب رئيس سجانين .

فصل من عمله قبل سبعة أشهر .

لقّب بالزاير كنوع من التعويض عن لقبه السابق .

٤

« ـ الجدوى أولا ، الفرار ثانيا »

قال ذلك واختفى .

« أعطيني توازنا ، أعطك حقيقة »

قال ذلك واختفى .

وانا امرأة. مجرد امرأة شرقيةضعيفة اتعبها جسدها.
السهل أن تطلق شعاراتك فيوجهي وتطالبني بالمستحيل.
لماذا تفترض بي أن أكون كما أنت ؟!

أنا أبكي . أبكي وجودي . أبكي حبي . ضياعي . ورغم كل هذا عليّ ان أبتسم .

والحب ؟! ... كنت تقول :

« ـ التفاهم أولا ، الحب ثانيا »

وكنت أهواك . أعبدك . أذوب فيك . وانت لا تـدري ولا تشعر . فضاع الحب ، وأخذت فهمك واختفيت، مخلفا لي ابنك الذي يذكرني بك وبواقعي .

وليته كان ابننا ، اذن لهان الأمر ، لكنه ابنــك فقط .
لتحترق أنت .. أو بالأحرى لأحترق أنا ، وليبــق ابنــك
شاهداً ... شاهداً ... ولكن .. على ماذا ؟!

الأرض كالحة ، ودورانها حقيقة .

السماء والبحر أزرقان .

الاضراب مغامرة غير مأمونة العــواقب ، لكن الجــوع
والعوز أزرقان .

لست جائعة ، ولا معوزة، ولا ابنك ، لكنه «الآخرون»،
والجحيم هي أنت .

٥

المكان : الغرفة ذاتها
الحالة : حوار هامس
الاشخاص :
١ ـ فاطمة
٢ ـ الزاير
٣ ـ كريم البصري ... (١)

كريم البصري يطل برأسه من شق الباب . الابتسامة الواسعة . العينان تجولان الغرفة بسرعة . الابتسامة تفقد ودها عند وجه الزاير . ثم تنتقل العينان الى فاطمة .

كريم البصري : صباح الخير .

فاطمة : اهلا ... تفضل .

الزاير : ...

يتسع شق الباب . خطوات مرنة . كريم البصري يدور الى ما وراء كرسي فاطمة . ينحني عليها . يقرّب فمه من أذنها . يهمس .

فاطمة : أعرف هذا .. أحمد أعطاني ورقة .

كريم البصري يهمس ثانية . دهشةرافضة ترتسم على وجه فاطمة .

فاطمة : كيف وصله الخبر ؟!

لم تخفض من صوتها :

ـ الأمر لا يخلو من خيانة !.. انظر الى هذا الملف !

الاهتمام على وجه الزاير . رقبته تنمط الى امام .

الاثنان يتفحصان الملف .

فاطمة : آلآن أدركت سبب التوظيف الاستثنائي !

التلفون الداخلي يرن . الهمس ينقطع .

فاطمة : نعم !.. صباح الخير.

تضع كفها بين فمها والتلفون . تهمس :

ـ المدير !

ترفع كفها .

ـ نعم .. الملف عندي .. حاضر .. حاضر ..

تضع السماعة . تلتفت الى الزاير .

ـ تم تعيينك فراشا للادارة . ابدأ عملك منذ الآن .

صوت الزاير لا يخلو من فرحة حائرة :

ـ أين ؟

فاطمة : الأفضل أن « تتواجد » عند باب غرفة المدير .

الزاير يستدير . يخطو .

كريم البصري ساخرا : خذ معك سلاحا !

الزاير يلتفت . يتبادل مع كريم البصري نظرات مستوفزة .

فاطمة : احترس !

واستطردت بصوت هامس :

ـ هو رئيس سجانين !!

★ ★ ★

(١) كريم البصري ... ممتلىء قليلا . متوسط الطول . وسيم . عيناه لا تخلوان من توقع .
سجين سياسي سابق . يعمل في الصحافة الى جانب عمله .. أمين مخزن المصنع .

٦

. . . .

. . . . وكريم البصري الذي يحاول أن يبدأ معي ، لست أدري علام يصر ــ مع نفسه ــ على ضرورة اقامة علاقة معينة بيني وبينه ؟!

هو ــ في احيان كثيرة ــ يتكلم مثلك .

الاخلاق . التنظيم . الفــرد . العمــل . المسؤولية . الـ ... الـ ...

متأدب حتى في أدبه. رقيق حتى في رقته، لكني أضيق به . عيناه على وجهي أحسهما ثقيلتين .

لو انه لا يحاول أن يكون انت !! .. **وانت ...**

★ ★ ★

في الليل ، وابنك ينام غير بعيد عنــي ، وباب الغرفــة موصد . الجو خانق في الداخــل ، لكني ــ كما عهــدتني ــ اخاف الظلام . اخاف الليل . اخاف الوحدة .

وبخطوة متعمدة منك تركت لي بعضك . تركت لي ابنك من أجل ان يمثلك عندي ..

وأقول باقتناع يتراوح بين الجدوى وعدمها :

حتى يعود أبوه !

ولو انه عاد لولدت تحت لمسات أصابعه عذراء حيية !

وابنك ... أنت عودته على النوم عند الساعة التاسعة. البارحة وقبل موعد نومه سألني بصوته الذي يجيد جعله بريئا ، حنونا ، صادقا ، لو أراد :

– «متى يعود بابا » ؟

وقتها كنت أعيد ترتيب بعض ثيابي . أتذكر ثوبي الأخضر ؟! .. لقد استطاع هذا الثوب ان ينتزع دمعة صامتة من عيني ، وسمعت ابنك يلقيني في خضم متاهة :

– « متى يعود بابا » ؟!

لا أدري علام أحسه يفهمني بعض الأحيان، وفي أحيان أخرى أشعر بتآلف غريب معه ، وكأننا .. أنا وهو ضحيتك أنت .

– « متى ... بابا » ؟!

ما كان في متناول يدي لكي آخذه الى صدري .

– لا أدري !

– أين ذهب ؟!

المتاهة اكبر .

– لا أدري !

– ومتى نذهب لزيارة أمي وأختي ؟

– ....

وكان ان أغفلت موعد نومه ، وعندما تنبهت الى ذلك ، حدجته بنظرة غاضبة ، ضحك بخبث ، وأسرع الى سريره. لابن ينشأ على ما كان ...

ماذا لو يطرق الباب الآن !.. لو ... من أجل ابنك.. لا من أجلي انا !!

★ ★ ★

كل شيء كان عاديا قبل لقائي بك . أنا معلمة . أعيش مع الأطفال . بين الأطفال . لي تطلعاتي الصغيرة ، وآمالي بزوج طيب ، وبيت متواضع ، وانجاب ، وفجأة دخلت حياتي . تزعزعت حياتي ، وبدأت عيناي تتفتحان على وجود جديد .

وأذكر أول لقاء لي بك في منزلك عبر علاقة القرابة البعيدة التي تربطنا .

كنت وأختي التي تكبرني وزوجتك التي احتفت بقدومنا ، فتفرغت لأعمال المطبخ . ابنتك التي تحبو ملأت عيني بوجهها الذي يحمل وجه أمها . بدأت أعابثها ، وعيناك تتابعاننا بارتياح فرح . ما كنت قد اقتربت منك عن كثب . وفجأة اكتشفت وجود مكتبة في المنزل . فما عادت ابنتك..

توجهت بكلي الى المكتبة . قصص . روايات . دواوين شعر . فلسفة . سياسة ...

ـ سأستعير هذا ، وهذا ، وهذا ، و ...

كنت أشبه بالمأخوذة أمام طوفان الكتب .

ـ ما هذه ؟

وبين يدي مجموعة كراسات . تبتسم .

ـ هي مخطوطاتي .

ـ مخطوطاتك ؟!

ـ قصص كتبتها .

ـ أأنت تكتب قصصا ؟!

ـ ....

واختليت بكراساتك . حل موعد الطعام وأنا مختلية . وبعد الغداء مختلية .

ـ متى ستنتهين ؟!

عوالم غريبة . ناس غرباء . أسلوب غريب .

ـ هل أعجبتك ؟

ـ لا أدري !

ـ ....

ـ ولكن ... لماذا تكتب عن هؤلاء الناس بالذات ؟!.. لصوص !.. قتلة !.. شواذ !

تتسع ابتسامتك ولا تجيب .

ـ لا أكذبك القول ، أنا أحببت ابطال قصصك رغم كونهم قتلة ، ولصوصا .

ـ ....

ـ ألا تعرف لماذا ؟

ـ لاني أهدف الى ادانة واقعهم من خلال استبطاني لهم .

لم أفهم ما عنيته بالضبط ، ولم أسألك تفسيرا . كرهت الظهور أمامك بمظهر الغبية ، ثم افترقنا وبي نقمة صغيرة .

★ ★ ★

بعد اسبوع فقط قالت لي أختي :

ـ هل سمعت بالخبر ؟

ـ أي خبر ؟!

يدها بالمشط في شعرها ، وبلا مبالاة أطلعتني على خبر انفصالك عن زوجتك .

لم أندهش . لست أدري علام لم تتملكني دهشة . أحسست وكأني أعرف الخبر قبلها .

ـ هذا متوقع .

فتسألني ببرود :

ـ لماذا ؟!

ـ قصصه تدل عليه .

زوجتك طيبة . أطفالك حلوين . وكبرت النقمة في داخلي .

ـ هو سخيف !.. أرعن !.. متهور !

★ ★ ★

وفي اليوم التالي التقيتك صدفة ، فانشلت قدرتي على التفكير ، تبدل الشعور بالنقمة الى احساس بالمسؤولية .

رأيتك منهارا حد الهذيان ، ضائعا حد الهرب .

ـ ما بك ؟!

ـ لا شيء .

ـ لماذا طلقت زوجتك ؟!

تضع عينيك في عيني . الألوان تنطمس في عينيك . تضيع . تهرب بهما الى ما وراء كتفي . تتمتم وكأنك تلقي ثقلا عن كاهلك :

ـ لأني أحبك .

أشبه بصفعة مدوية تسقط على وجهي . الأرض تدور . أعمدة النور تدور . أبواق السيارات صراخ .

ـ تحبني انا ؟!

ـ ....

ـ لماذا ؟!.. كيف ؟!.. منذ متى ؟!

ـ ....

ـ وزوجتك ؟!

ـ طلقتها .

ـ واطفالك ؟!

ـ تركتهم لها .

ـ والآن ؟!

ـ سأسافر غدا .

ماذا حدث له ؟!.. ما به ؟.

ـ الى أين ؟

ـ الى ايران .

ـ لماذا ايران ؟!

ـ لكيلا أعود .

ـ وما الدافع و ...

فتقاطعني :

ـ لأني أحبك .

لكني أتجاهل الرد .

ـ وعملك ؟

ـ تركته .

★ ★ ★

الليل . المجهول . أنت . المغامرة . المسؤولية . وبدا احساسي بمسؤوليتي عنك يتجسد في ذاتي شيئا فشيئا .

كيف استطاع ان يحبني بهذا العنف دون ان أحس ؟!

مجنون !.. يطلق زوجته . ثم يتخذ قراره بالهرب ، لا لشيء غير كونه يائسا من حبي له .

ـ أنا أحبك . حبك هو السبب .

ـ ان كان حبي فعلام تهرب ؟!

ـ ليس لدي ما أحرص عليه .

ـ وانـا ؟!

ـ ...

الليل . المجهول . انت . المغامرة . المسؤولية . وبدأ شعوري بمسؤوليتي عنك يتجسد في ذاتي شيئا فشيئا .

علي اناستبقيه بأي شكل من الاشكال !

هو لا يعي ما يفعل !

لا بد من رفع فكرة الهرب الى ايران من رأسه !.. لا بد من اقناعه ! ..

لا بد من .. لا بد .. لا ..

كنا في الطريق ، وازقة البصرة تكاد تخلو من المارة رغم كوننا في اول الليل .

ـ والآن ؟!

ـ انـا ذاهب .

ـ ابق معي ساعة واحدة !

ـ آسف .

ـ ابغي التحدث معك !

ـ لا وقت لدي .

ـ ستبقى ، ولو لفترة قصيرة !

شعوري بمسؤوليتي عنك . وضعك النفسي المتردي .
كنا قريبين من سينما الرافدين .

ـ تعـال !

ـ لن ادخل .

ـ ستدخل !

من يدك . وتحت ضغط اصابعي انقدت الي . وهناك ... شارلي شابلن ، وظلام الصالة ، والهمس :

ـ لماذا تهرب الى ايران ؟!

ـ لاني هارب من حبك .

وانا مجرد امرأة شرقية .

ـ وكيف عرفت بأني ارفض حبك ؟!

ـ ...

ـ ان كنت تحبني ابق من اجلى !

ـ لا تربطي مصيرك بمصير انسان مجنون .

اصابعك . الليـــل . المجهول . ظـلام الصالـــة . مسؤوليتي ، وأنا التي بدأ وجودها يتجسد بك .

ـ ابق من اجلي !

ـ انت مجنونة !

ـ ومن فينا العاقل ؟!

اصابعك . كفك . ذراعك . فمك . عيناك . شعرك . واتفجر قبلا تسبقها الدموع .

ـ ابق من اجلي !

ـ انـا محتار !!

هو رأس الخيط .

ـ لا ادري ماذا حل بي !! .. وجودك معي ينسيني واقعي وماضيي ومستقبلي ! .. احس بانني اعيش لحظتي فقـط !

ـ ابدنا هو هذه اللحظة .

والساعة هي العاشرة ليلا . طرقات البصرة شبه مقفرة . ومن دون وعي رحنا نذرع الطرقات .

طيلة الوقت كنت اتوسل اليك بالعدول عن الهرب .

هربك ضياع لك . لمستقبلك . عملك . اولادك . واخيرا لي أنا التي اكتشفت وجودي فيك .

وفجأة وجدنا انفسنا في طريق مهجورة تؤدي الى محطة قطار البصرة القديمة .

ــ لن اعود الى البيت الا بعد ان تعدني بالعدول عن الهرب الى ايران !

ــ ...
ــ هل تعدني ؟
ــ لا استطيع !
ــ ارجوك !!
ــ لا استطيع !
ــ اتوسل اليك !!
ــ لا استطيع !

توقفنا . كنا قد حاذينا احدى القاطرات الحديدية الصدئة .

ــ من اجلي !!
ــ لا استطيع !
ــ انا ... انا احبك !!
ــ وانا احبك .. لكني سأذهب .

امسكت رأسك . قبلتك بقوة . حناني وانوثتي تتفجران في شفتي .

ــ من اجلي !! من اجلي !!
ــ ...

ووجدت نفسي اتوالـد على فمك . الدمـاء تغلي في جسدي . اللهاث . الـدوار في رأسي . الارض تـدور . القاطرات تدور . الليل يدور . الخوار . ملت الى الخلف . برودة القاطرة تتسرب الى ظهري . اتكأت عليها . وكلماتي المحمومة :

ـ من اجلي انا !! .. من اجلي !! .. من ..

وبدأ فمك يأكلني . واسعدني جدا ان أؤكل .

ـ انا احبك ! .. انا لك !

يدك تمتد الى ما بين ظهري وحديد القاطرة . تطويني اليك . اصابعك تزحف من تحت ابطي الى ثديي .

ـ لا تذهب .. انا احبك !

واليد الاخرى تطوق نصفي الاسفل . تشد عجيزتي اليـك .

ـ ستبقى ! .. اليس كذلك ؟!

ـ ...

ولم تراودني فكرة ان اعارض عندما راحت يدك ...

ـ ستبقى ! .. سنتزوج !

ـ ....

قطعة من ثيابي الصغيرة تتمزق .

ـ سنتزوج !

وكان الماً اشبه بلسعة سيجارة . لم أصرخ . كـادت تفلت من فمي صرخة، لكني امسكتها، وادركت بأنني خرقت **والدم ...**

ـ انت .. انت ..

لم أستطع الاتمام . ساقاي تخونانني . استندت الى

كتفك . **والدم** ... وتصاعدت مـن صدري الى حنجرتـي موجة عارمـة .

ـ انـا .. انا ..

ثم بكيت ، **والدم** ...

ـ سابقى يا حبيبتي .

تكفكف دموعي .

ـ سنتزوج .

ثم توقعتك صباحا . ظهرا . عصرا . مساء . لكنـك غبت اسبوعا ، بعده جئتني وانت اشبه بحطام انسان .

ـ اين كنت ؟!

ـ على الحدود الايرانية العراقية .

ـ لم تف بوعدك !

ـ بل انا به .

ـ متـى ؟

ـ بعد تسوية مشاكلي .

وامتدت فتـرة الخطوبة ثلاثـة أشهر . اكتشفت خلالها ..

ـ « انا حامل » .

٧

لا أريد أن أقول : **أنت حقير .. اجهضت طفلنا !**

ولا اريد ان اقول : **انت ضيعتني ! اجبرتني على ترك عملي كمعلمة بعد زواجنا مباشرة .**

وجها لوجه :

ـ فاطمة انت تعلمين .. انا انسان من نوع خاص ... احتاج الى جو خاص . القراءة . التاليف ...

ـ وهل قصرت في شيء ؟

ـ لا ، لكن العمل يشغلك عن العناية بأموري وأمور **المنزل ، ثم انا احبك واغار عليك .**

فابتسم لك بكل حبي .

ـ ماذا تريد مني بالضبط ؟

ـ كوني ربة بيت . فقط .

ـ ولكن ..

فتضع أصابعك على شفتي .

ـ مرتبي فيه الكفاية .
نزولا عند رغبتك :
ـ كما تشاء يا حبيبي .

لكنك غادرتني ! هجرتني ! تركتني بعد زواجنا باشهر ! ولو انك تركتني لوحدي ...

ـ فاطمة .. انا لا استطيع دفع نفقـة طفلين في آن واحد ... ما رأيك لو اخذنا الصبي لدينا ؟ ... زوجتي السابقة لا تمانع .. خاصة وانها مقدمة على زواج ! .
ـ كما تشاء يا حبيبي .

★ ★ ★

كل هذا ليس مهمـا . المهم هـو عملي في المصنـع . وجودي في المصنع .

بعد مغادرتك الى المجهول ، وانا المسؤولة عن اعالـة نفسي وابنك . بحثت عن عمل ...

في المصنع . بين العمال . وسط خضم العالم الـذي آخـر .

هل كنت ـ **معك** ـ ضحية غبية مخدوعة ؟! وهل ان مخطوطاتك وكتبك التي اورثتني اياها ؟! ام انها مواجهتي لمسؤوليتي عن ابنك ؟!
في المصنع . بين العمال . وسط خضمالعالم الـذي لا يختلط فيه اللون الابيض بالاسود .
المصير المشترك ، وجهد انتزاع اللقمة ، وانا مع المدير بشخصيتين .
عيناه ، وجوع الذئب الذي يتجسد فيهما .

ـ انت سكرتيرتي الخاصة . رفعت الى المديرية تقريرا عنك . لا بد من علاوة طبيعة عمل .

لكني معه احس بانفصالي عنه . ومع العمال ...

احمد عبدالله بالنسبة اليـك يقف في الطرف الثاني . يناقضك تمامـا .

هو عامل فني فقط . هو ... الصدق . الصراحة . الارادة . الالتزام .

وانت مـاذا ؟!

لو اني التقيته قبل لقائي بك ... فهل يجهض الـ ...

والآن ... لا بد من التقائي به .

٨

المكان : غرفة المدير
الوقت : الساعة الثانية عشرة ظهرا
الحالة : حوار متوتر
الاشخاص : ـ
١ ـ فاطمة
٢ ـ المـدير

الزاير يبتسم بود . يقف احتراما . يفتح الباب ، فتدخل فاطمـة .

اناقته . كتفـاه العريضان . الغليون . الفــودان المزينان بشعيرات بيضاء .

المدير : اهــلا

اساريره ...

فاطمة : مساء الخير .

المدير : مساء الخير . لم أرك اليوم !

فاطمة : « أنت تدري ... العمل »
المدير : اجلسي .
تتـــردد .
فاطمة : ولكن ... العمل ...
ينهض عن كرسيه . صوته اقرب الى الامر :
ـ آجلسي .. لا اهم من العمل الذي لدي .

ويبدع يذرع الغرفة . الاهتمـــــام على وجهـــه ، واحساسها بالخطر الداهم . تغلف صوتها بالود :

ـ ماذا حدث ؟!
يتكىء الى جانب الواجهة الزجاجية المطلة على باحة المصنـــع .

ينفث دخان غليونه مصحوبا بزفرة . يدير رقبته الى حيث تنفذ عيناه عبر الزجاج .
ألمدير : مجرمون !!
فاطمة : من هم ؟
المدير : العمال .

تلوذ بالصمت . كريم البصري كان قد قال لها :
« ــ المدير يعرف بأمر الاضراب »

المدير : ناكرو جميل ! مخربون ! فوضويون !
ثم يعود يذرع الغرفة .

المدير لا بـــد من سحق رأس الافعى . لا بد مـــــن مباغتتهم .
لا بد من اعتقالهم . اليوم بالذات .
تتظاهر باللامعرفة . تتصنع الدهشة .
فاطمة : انا لا أفهم شيئا !!

المدير : لا تفهمـين !.. الآن ستفهمين . هاتي ورقـا وقلمـا !

★ ★ ★

الـ ... محترم ... وزارة ...

ثبت لدينا ... احمد عبدالله ... بما لا يدع اي مجال للشك .. جعفر علي ... تنظيم حزبي محضور ... كاظم عبيد .. الاقتصاد الوطني ... احمـد ... التدابير الرادعة ... عبد الله ... الاضراب .. جعفر .. الوقت .. علـي .. القبض .. كـاظم .. سري .. عبيـد .. التدابير الرادعة .. سري .. مستعجل جدا ..

٩

عضلات بطني تتقلص .الدوار في رأسي . الكلمات التي يخطها قلمي تتراقص أمام عيني .

احسه يعريني من ثيابي . ويقف غير بعيد عني متفرجا بتلـذذ .

ـ اغبياء ! يظنونني اجهل تحركاتهم !

احسه يدينني . لهجته اتهام ضمني .

« احمد عبدالله .. صباح الخير »

« صباح الـ .. ورقة ... اخواننـا العمال ... نطالب .. ونطالب .. واخيرا نطالب ... »

وتتجسد في عينيه فرحة حاقدة .

ـ سأسحق رأس الافعى !

الورقة . القلم .

« الورقة . الحقيبة . مطالبنا او الاضراب . كريم البصري .. هل تعلمين بامر الاضراب ؟ »

« احمد اعطاني .. »
« المدير يعلم »
« ... احد الخونة »
« أنظر الى هذا الملف ! »
وصوت المدير المتوعد :
ـ لا بد من اعتقالهم ، اليوم بالذات !
« كريم البصري ! .. كيف عرف بأن المدير ... »
« السيد المحترم وكيل وزارة ... »
« من الذي اخبر كريم البصري بأن المدير ... »
ـ لا بد من اعتقالهم فورا !
« سري . مستعجل جدا . التدابير الرادعة »
ولا أجسر على السؤال .
ـ لو تركتهم طلقاء الى الغد لعمت الدعوة الى الاضراب بين صفوف العمال .
الضربة ساحقة .
« مستعجل جدا »
ومفاجئة .
« سري . حزبي . تنظيم . محضور »
الوقت ضيق وأنا ...

* * *

ـ اطبعيه على الآلة الكاتبة .
الكابوس . واطلق زفرة حائرة يلتقطها مباشرة .
ـ ما بك ؟
ـ ...
ـ هل انت متعبة ؟
ـ جدا .

يبتسم بتفاهم ذكي .

ـ انت فوجئت !

جـدا .

يدور خلف الكرسي الذي اجلس عليه . يضع يده على كتفي . جسدي يكاد ينكمش .

ـ لماذا فوجئت ؟

فاجيبه بعفوية :

ـ احمد عبدالله .. علي عبيد .. جعفر كاظم .. عمال نشطون .. مخلصون .. فكيف يـ ...

لا يدعني اتم . يقاطعني :

ـ لك حق ... انت انسانة طيبة .. واحكامك على الناس تتماشى مع طيبتك ... اليس كذلك ؟

ـ ...

ـ هم نشطون، مخلصون في عملهم، كما هم نشطون، مخلصون في تزعمهم لدعوة الاضراب .

ـ لا افهم !

ـ « حسنا » .. أنظري الى هذا المنشور الفوضوي !

يده الى جيبه . الورقة امام عيني .

« احمد ... الورقة »

تذكرت حقيبة يدي . هي موضوعة على مكتبي بالقرب من جهاز التلفون .

١٠

عليها ان تتحرك . لا بد مـن عثورهـا على احمـد . محاولاتها اليائسة للقائه اثناء ساعات العمل باءت بالفشل . « اشغالات » المدير . واوامـره الى الحد الـذي استنزف وقتها . وعينا الزاير تتابعانها من خـلال طلبات المديـر .

لو انها تثق بـه :

ـ اذهب الى احمد .. اسأل عن احمد .

وكريم البصري ... من يدري ... هو ايضا ... املها كان معلقا على فترة الانصراف ، لكن المدير ...

ـ خذي هذه الاوراق و ...

★ ★ ★

الابواب تنغلق بلامبالاة. وكان علي ان اتصرف باعصاب باردة ولا مبالاة .

ـ باستطاعتنا الانصراف الآن .

ـ ....

ـ تعالي أوصلك بسيارتي !

هل أذهب ؟

ـ بقيت بعض الاوراق لا بد من ادخالها في الملفات .

ـ دعيها للغد ... هم يغلقون ابواب المصنع .

ـ لن اتاخر كثيرا .

فيبتسم المدير :

ـ هذا الاعتذار الرافض دائما !

لا ارد بشيء . اتجه ناحية غرفتي . خطواته نحو الطريق ، وخطوات الزاير من خلفي . اقف . التفت اليه .

ـ ماذا تريد ؟!

صوتي غضب . رد الفعل على وجهه . قامته تستقيم قليلا .

ـ اردت التاكد من اغلاق الابواب .

له كل الحق . كلب امين . رئيس سجانين . يغلق باب غرفة المدير . يستدير ، وظلال حزن على وجهه .

من الملف الخاص باحمد حصلت على عنوان البيت .

لا بد ـ وباسرع وقت ـ ان يعرف بالتطورات الاخيرة !

حقيبة يدها . خطواتها . الدهاليز تتجاوب بصدى وقع حذائها . الصمت . الظلال . الامتداد . الوحدة .

« خرج الجميع ! »

وداهمها شعور بالرهبة . تسارعت خطواتها . تحولت الى ركض . لم تلتفت الى وراء . وعلى البعد بان جسد الزاير عملاقا يقف عند البوابة الرئيسية .

زايلها الخوف . تباطأت خطواتها . وجه الزاير يحمل انطباع وجه طفل لم يقترف ذنبا وبالرغم فهو يعتذر .

١١

السـاعة تقارب الرابعة ، وانا اذرع ازقة حي شعبي فقير . رقم منزله معي ، ولكن انى لهذه الارقام ان تستقر .

العيون المتعبة تتفحصني بدهشة . **انـا ..** ثيـاب انيقة . حذاء كعب . مظهر . الوان . خطوات .

الحرج يبدأ يتسرب الى خطواتي . وعيناي تبحثان عن قطع معدنية صغيرة . **رقم منزل ..** مثبتـة فـوق الابواب ، لكن الارقام تشابهت . تداخلت . انمحت .

قدماي ، وحذاء الكعب . التعب ، والساعة هـي الخامسة والنصف ،والجو ما يزال خانقا .

هل اعـود ؟!

والحي الشعبي يزداد شعبية . البيوت تستند الى بعضها .

اين انت يا احمد ؟! تعبت من البحث يا احمد !!

واسأل للمـرة العشرين:

ـ اين بيت أحمد عبد الله العامل في مصنع الـ ...

ـ لا ندري .

وأنسى ـ أحيانا ـ ما يعذبني ، ويعذبني ظني بأني كنت فقيرة ، وأمتلك جرأة لأقول :

« ـ ألا أستحق زيادة مرتبي ؟! »

ـ أين بيت أحمد عبدالله الـ ...

ـ لا أدري .

لو أن مرتبي زاد عشرة دنانير لاستطعت اقتناء سيـــارة صغيرة .

ـ أين بيت أحمد عبد الـ ...

ـ لا ندري .

وهؤلاء ... لـــو ان مرتبهـــم زاد دينـــارا في الشهـــر لاستطاعوا اقتناء ...

ـ أين بيت أحـ ...

ـ لا ...

لا بد من عثوري عليه .

ـ أين بيت ...

ـ ذلك هو ...

وأكاد اتهالك على الأرض اعياء ، وفي صدري تزدحـــم سحابات فرح .

ـ ذلك هو بيته .

وتتسابق الأرجل الرفيعة للطفل الذي وجدني .

١٣

أبنك الذي تركته في المنزل منذ ثلاث ساعات، وضياعها وسط خضم الأحداث ، ورغبتها الجامحة للاختلاء بنفسها ، واطلاق العنان لدموعها ، ومفتاح باب البيت الـذي يرفض الاهتداء الى ثقبه نتيجة لاضطراب أصابعها .

وما ان فتح الباب ، حتى كان وجـه أبنك . فرحـة صغيرة . يدها الى شعر رأسه ، واهتمام شديد على وجهه.

ـ جاء رجل قبل ساعة .

وجيب قلبها . الخوف .التوقع .

ـ من هو ؟

ـ اسمه كاظم عبيد .. (1)

زفرة ارتياح تعقبها لهفة .

ـ وماذا قال ؟

ـ طرق الباب . قلت له : « من أنت ؟ » .. قـال : « كاظم عبيد » ..

قلت : « ماذا تريـد ؟ » .. قـال : « أريـد الأخت فاطمة » .

صمت كي يلتقط أنفاسه .

ـ وماذا قلت له ؟

يندهش من سؤالها .

ـ قلت : « غير موجودة » .

صبرها يبدأ ينفد . نظرت في عينيه . مـن عادتـه ألا يدلي بمعلوماته دفعة واحدة . هو يحوّل كل شيء الى قصة مروية .

ـ وماذا قال ؟

ـ قال : « أين ذهبت ؟ »

ـ وماذا قلت له ؟

ثانيا يندهش من سؤالها .

ـ قلت : « لا أدري » .

الغضب على وجهها .

ـ وماذا قال ؟

ـ قال : « افتح الباب ! »

ـ ....

فاستطرد :

ـ قلت له : « ولماذا افتح الباب ؟! »

هل تغضب ؟!.. أم تضحك ؟!.. أهو عامل الوراثة؟!. وفضلت أن تلوذ بالصمت . وطفقت تنتظر ما يقوله الصبي.

ـ قال : « دعني انتظرها في الداخل ! »

ـ ...

ـ لا .

ـ ...

ـ الأمر مهم جدا !

ـ ...

ـ لا .

وصمت برهة ، ظلال غضب على وجهه .

ـ شتمني وذهب .

ابتسمت . مدت يدها ـ ثانية ـ الى شعره .

ـ لو انك قلتها منذ البداية !

ـ لكن الباب طرق ثانية بعد قليل !

اللهفة في صوتها :

ـ ومن الطارق ؟

فيستعد للسرد :

ـ سألت : ((من ؟)) فأجابني : ((قارىء عدادات الكهرباء)) .

الخيبة . اليأس . لم تمد يدها الى شعره . مشت الى الداخل . فضلت عدم السماع .

ـ انتظري !

يلحق بها . تقف والضيق يتجسد طاغيا على وجهها .

ـ ماذا تريد أيضا ؟!

لا يعير غضبها اهتماما .

ـ قال : ((أنا قارىء عدادات الكهرباء)) ... فتحت له الباب . دخل بسرعة ، وأغلقه من خلفه . ضحك ، وقال : ((مرحبا)) .. لم أرد عليه .. هو خدعني !

اللهفة ، والفرحة تعود الى صوتها :

ـ وأين هو ؟

ـ هنـــاك .

يده تشير ناحية غرفة الضيوف . وفمه يهمهم بحزن
ـ هو خدعني !

★ ★ ★

(١) قصير القامة . أسمر . نحيف . عيناه لا تخلوان من مكر .

في الماضي كان الشخصية المحورية لرواية «الحبل» .

منح اسم « كاظم عبيد » كنوع من التعويض .

كاظم عبيد

اليوم الأول

الساعة التاسعة صباحا ، والآلات تدور . الأوراق التي وزعت في الصباح .. **مطالبنا أو الاضراب ..** اختفت ، وما عادت أيدي العمال تتناقلها ، بينما راحت الالسن تتناقل :

- مدير المصنع استخدم فرّاشا جديدا ..

- الفراش الجديد ليس فراشا.. هو رئيس سجانين!

- المدير يعرف بأمر الاضراب .

- الفراش الجديد جاسوس !

وعندما مر كاظم عبيد بالقرب من غرفة المدير تبادل مع الزاير نظرات متفحصة قبل دخوله غرفة أمين المخزن .

- هل رأيت الجلاد ؟!

- رأيته .

- المدير يعرف بأمر الاضراب !.. علينا أن نعمل بسرعة !

- سينفذ الاضراب خلال أيام .

- عظيم ... هل أخبرت الاخوان عن رغبتي بالتعاون معكم ؟

- أخبرتهم .

- عظيم ... وماذا كان ردهم ؟

١

(الساعة الخامسة والنصف صباحا)

كم سنة مرت منذ ان تركت السرقة ؟!.. ولماذا تفكـر باحترافها ثانية ؟!

في الماضي كنت تسرق من أجل .. **ان آكل** .. ذلـك هو التبرير الذي لم توافقك عليه زوجتك . والآن لماذا تريـد ان تسرق .. **من أجل الاضراب** ...

هل ستجد الجرأة فتطرح الفكرة على أحمد عبدالله ؟!

وأن كانت الفكرة وليدتك أنت فعلام تشرك الآخرين ؟!

★ ★ ★

ـ اليوم نبدأ عملية التحريض على الاضراب .

ـ ....

وتحس بضرورة تبرير وجهة نظرك .

ـ ....

ـ هم رفضوا مطالبنا .
لكنها ـ كما عودتك دائمـا ـ لا تـرد عليـك بشيء .
عيناها فقط تتكلمان .
« وما الداعي لان تحشر نفسك ؟! »
هي لا تفهم !.. ولا تريد ..
ـ نحن نطالب بحقوقنا المشروعة ... ساعات العمل ... الظروف الديمقراطية .. الأجور .
عيناها تعذبانه . تذكرانه بتقصيره ازاء حبهمـا الـذي كان .

ـ أنا أعمل من أجلك وأجلي .

وفي داخله يتداعى صوت أحمد عبدالله :
« ومن أجل الطبقة العاملة »
لكنه أحتفظ بالجملة الأخيرة :
« ومن أجل كرامتنا » .

★ ★ ★

وعندما داهمت الشرطة منزلي لم يجدوا ما يدينوني به .
ـ اين أخفيت منشورات الحزب ؟
ـ الحزب ؟!..
ما كانت دهشتي كاذبة .
ـ وتتظاهر بالغباء !
ـ « ابدا » .. أنا لا انتمي لاي ..
ولم استطع الاتمام . كلمة **حزب** تكسرت داخل فمـي جراء الصفعة المدوية التي سقطت على وجهي .
ـ حمار !.. كلب !!. فوضوي !

وبرد فعل لاواع ارتفعت يدي . لـم أضرب أحـدا . فقط رفعت يدي ، لكن الضربات ..

ـ لماذا تضربوني ؟

ما آلمني ضربهم لي . كنت أتوقع ذلك ، لكـن الـذي مزقني ان زوجتي شاهدتهم .

ـ لماذا ؟!.. لماذا تضربونه ؟!

لم تستطع ان تتمالك نفسها ، انهـارت باكيـة وهـي تصرخ :

ـ شرطة !.. مجرمون !

اقترب أحدهم منها .

ـ ايتها الـ ...

كدت أجن . هو يرفع يده .

★ ★ ★

أحس بطعم الحقد يطغى على طعم الحزن الذي في فمه.

السرقة مبررة جدا .. هي حرب طبقية .

ما كان قد أخبرها بعزمه على السرقة .

ـ ما رأيك لو أعود الى احتراف السرقة ؟

ـ ...

لا تبتسم .

لا تصدقني !.. دائما لا تصدقني !

تستدير بجسدها الى الناحية الثانية . ظهرها اليه .

وغاضبة !.. دائما غاضبة !

نظرة أخيرة . يبتعد بعدها الى حيث البـاب . وبيـد خفيفة الحركة أغلقه خلفه ، واحتواه الزقاق .

٢

نور الفجر يضفي على الطرقات والاشجار والبنايـات روحا متفتحة ، الرياح تتغلغل داخل صدره رطبـة منعشة ، والطريق تمتد أمامه خالية . عليـه أن يسير زهـاء نصف ساعـة .

الآلات .. الساعة السادسة .

في نهاية الشارع الذي على يمينه يقع بيت فاطمة .

أحمد عبدالله قال عنها :

ـ فاطمة انسانة جيدة .. نثق بهـا .. رغم كونهـا سكرتيرة المدير .

الاداريون ... الساعة الثامنة .

ومنذ سنوات خلت .. **كنت موظفا . القصيدة التـي هجوت فيها عبد الكريم قاسم ...**

بسمة ساخرة ترتسم على فمه .

كانت اياما ... الشباب .. الطمـوح ... الأشهـر الأولى للزواج .

يعقد حاجبيه .

ما الذي دفعني لان أهجوه هو بالذات؟! ظننت بنفسي القدرة على نظم الشعر فابتدأت به .

كان ذلك عام ١٩٦١

ـ اسمع !.. أنت بريء .. لم يعترف عليك أحد .. وسلوكك ـ منذ ستة أشهر حتى الآن لا غبار عليه . ولكن بقيت نقطة واحدة تشغل بالنا « لماذا هجوت الزعيم ؟! »

ولا أجد غير :

ـ لأنني مجنون .

فيضحك المحقق . يقول :

ـ أعلن عن براءتك ، فنطلق سراحك .

★ ★ ★

ضغط فكيه . وبقدمه ضرب حصاة صغيرة .

اعلن عن ...

راحت تتدحرج أمامه .

بعد خروجي من المعتقل بيوم واحد اغتسلت . ارتديت ثيابا نظيفة . ذهبت الى عملي . بي شوق لأن اعود اليه بعد غياب نصف سنة ، ولدي الوازع ..

« هناك الديون التي تراكمت عليّ اثناء شهور الاعتقال» رفاق العمل ..

ـ « الحمد لله على السلامة »

الفرحة . القبل . الاحضان . وحزن خفي في الاغوار .

حصاة أخرى تدحرجت الى البعيد .

وعندما دخلت على الرئيس ..

ـ السلام عليكم .
((توقعته ينهض)) ليشد على يدي
ـ .....
لكنه لم ير كفي الممدودة أليه . نظرت الى يدي . كانت أشبه بالمشلولة . وكرهت اسقاطها ((هكذا)) .
ـ ماذا تريد ؟!
هل نساني ؟!.. محال . يغرقني شعور بالخزي .. ((وكرامة الطبقة العاملة))
ـ سلامتك ... أحببت ...

لا ينتبه لما أقوله . تمتد يده الى زر الجرس . صوت الجرس يطغى على صوتي . يدخل الفراش .

ـ أهلا !
الفراش يراني . يهرع اليّ . يشد على يدي بحرارة . ((.. العاملة))

حرارته سرعان ما تتحول الى برودة . بعدما صاح به الرئيس :

ـ أنت !
يترك يدي . يستدير .
ـ نعم سيدي !
ـ قل للسكرتير بأننا سنخرج حالا في جولة تفتيشية.
ـ أمرك سيدي .
حصاة ثالثة الى أبعد .
الفراش يخرج مسرعا . الرئيس يجمع أوراقه .
ـ ماذا تريد ؟!
ـ ((سلامتك .. أحببت .. أسلم عليك .. قبل استلامي العمل))

يتفحصني . لأول مرة يتفحصني . عيناه ساخرتان .
ـ أي عمل ؟!
وابتسامة صفراء على فمه .
ـ الا تدري بانك مفصول منذ ستة أشهر !!
لم أقل له :
ـ والآن ؟!
لكن فرّاشه سألني بحزن :
ـ والآن ؟!
ـ سأبحث عن عمل جديد .
رفع وجهه. تطلع الى أمام . مبنى المصنع يبان في البعد .

★ ★ ★

ـ أنا أيضا مثلك . كنت سجينا سياسيا . فصلت من عملي وأنا في السجن . بعد خروجي من السجن تشردت لفترة ليست بالقصيرة ، ريثما حصلت على عمل في قسم الاعلام باحدى الشركات الأهلية التي تربطني باحد موظفيها صداقة قديمة . والى جانب هذا العمل عملت في الصحافة.

ـ ...

يسحب كريم البصري دخان سيجاته الى صدره ، ويطلقه نحو السقف بثقة ، ثم يستطرد :
ـ عملي الصحفي وفر لي فرصة اقامة علاقات صداقة مع الكثير من المسؤولين . عرضوا علي ان اشغل مناصب محترمة .
ـ ...
يهز رأسه بتفهم ، وابتسامة متآمرة على فمه .

ـ لكن المنصب الجيد لا يأتيك جزافا . هـم يطلبـون الثمن ، وانا ارفض ان ابيع نفسي . الانسان مبدأ ومـوقف واخلاق . لهذا السبب تراني .. أمين مخزن فقط !

ـ ...

يتناول علبة سجائره ، ومن عقب الأولى يشعل الثانية.

ـ الراتب كما تعلم حقير ، لكن عملي الصحفي يغطي النقص .

ـ انا كنت أكتب الشعر .

ـ عظيم .. هات احـدى قصائدك كـي ننشرهـا في الصحيفة .

بي رغبة لان أدخن سيجارة . نهضت . اقتربت مـن مكتبه . مددت يدي الى علبة سجائره .

ـ ((عفوا .. عفوا .. خذ سيجارة .. خذ !))

قلت له :

ـ قبل سنوات كتبت قصيـدة ، دفعت ثمنهـا ستة شهور سجن .

ضحك حتى مال الى وراء .

ـ ((كلنا في الهوى سوى))

يتطلع اليّ .

ـ هل كنت في الحزب ؟

ـ لا .

أحسه يستصغر شأني .

ـ ولماذا سجنت اذن ؟!

ـ قصيدتي كانت هجاء لعبد الكريم قاسم .

يضحك بأعلى . يميل الى وراء أكثر .

ـ أبرياء كثيرون مثلك ذهبوا ضحيةسياسة التنازلات التي مارسها حزبنا أيام عبد الكريم قاسم .

★ ★ ★

كان قد وصل بوابة المصنع .

ـ مطالبنا رفضت. غداً نبدأ التحريض علىالاضراب.

هذا ما قاله لي أحمد عبدالله امس .

اليوم نبدأ بتحريض العمال على الاضراب . ترى هل أجد الجرأة كي أطرح عليه فكرة مشروعي ؟!

هو قال :

ـ لعلنا نحتاج الى جمع بعض التبرعات بعد تنفيذ الاضراب . قد لا يجد بعض العمال المضربين ما ياكلونه .

٣

(الساعة التاسعة والنصف)

صوت الآلة التي أمامه يصم اذنيه . النقمة في صدره.

كريم البصري كان مثلي . سجينا سياسيا مفصولا من عمله . لكنه الآن موظف اداري .

ـ عملي الصحفي ... علاقات صداقة ...

وأنا .. عندما أفتتح هـذا المصنع استعنت بكل مـن أعرفه . الوساطات . الاتصالات . حتى قبل طلبي . لو اني بقيت أمارس السرقة ...

قال لي مسؤول التوظيف في المديرية العامة :

ـ جميع الوظائف الكتابية مشغولة .

ـ انا كنت موظفا في ...

فيقاطعني :

ـ عامل فني . هل ترغب بهذه الوظيفة أم لا ؟!

ـ ...

أرغب . وهل هناك أي مجال للاختيار ؟!
ـ ستدرب على الآلة لمدة اسبوع .
وقتها قالت زوجتي :
ـ المهم أن تبدأ العمل . وسيجيء اليوم الذي ينصفونك فيه .

★ ★ ★

ـ سيجيء اليوم الذي ينصفوني فيه !
هذا ما قاله كريم البصري قبل نصف ساعة . الغضب في صوته ، والقهر على وجهه. لم ترد عليه بشيء، وانسحبت من غرفته بصمت . الحوار الذي كان قد دار بينكما :

ـ سينفذ الاضراب خلال ايام .

فرد عليك بحماسة :
ـ عظيم .. وهل أخبرت الاخوان عن رغبتي بالتعاون معكم ؟

ـ أخبرتهم .
ولم تستطع اضافة كلمة أخرى .
ـ وماذا كان ردهم ؟
لا مفر من الاجابة .
ـ الرفض .
رفض التصديق على وجهه .
ـ لماذا ؟!!

ـ احمد عبدالله يقول : « لا نستطيع ان نثق بكل انسان » .
كريم البصري ينفعل . يغضب .

ـ باسم من يتكلم احمد عبدالله ؟!
ـ ...
ـ كيف سولت له نفسه ...
يمد يده الى علبة سجائره .
ـ يمنعني من تأدية واجبي !
ـ ...
ـ والآخرون ... ماذا قالوا ؟
ـ لا أدري ... انا لا اعرف غير أحمد عبدالله وجعفر علي .
يصمت برهة .
ـ ماذا قال جعفر علي ؟
ـ ظل صامتا .
ينفث دخان سيجارته بعصبية .
ـ لا باس !
ثم يستطرد مهمهما :
ـ سيجيء اليوم الذي ينصفوني فيه !
لا ترد عليه بشيء . تنسحب من غرفته بصمت .
كان بودك لو تقول لكريم البصري :
ـ لست وحدك. انا أيضا صرت من المغضوب عليهم.
الفكرة بحد ذاتها .. «كريم البصري يرغب بالتعاون معنـا » جلبت لي النقمة . الانزعاج على وجه احمد عبدالله .
ـ من الذي طلب منك الاتصال بالبصري ؟!
ـ لم اتصل به ... هو مجرد اقتراح .
لا يصدقني . عيناه تصرحان :
« أنت تكذب ! »
رد فعل الاقتراح كان كبيرا . لهذا السبب لـم تجـد الجرأة اللازمة لطرح فكرة المشروع الذي يشغل ذهنك :
« السرقة » .

٤

غضب أحمد عبدالله .

ـ من الذي طلب اليك الاتصال بكريم البصري ؟!

ـ لم اتصل .

ـ لا تقدم على أية خطوة دون أن ...

وموقف جعفر علي الذي ظل صامتا ولم يعلق بكلمة . الاحساس بالذنب الى جانب الشعور بالظلم .

أنا لم أرتكب ذنبا . كلنا نسعى لخدمة القضية .

ـ لا تقدم على ...

أنا أعرف كريم البصري أكثر منهم . هو صديقي الى حد ما . كان قد فتح لي قلبه .

ـ أنا أيضا مثلك . كنت سجينا سياسيا . فصلت من عملي ... الانسان مبدأ وموقف واخلاق .. ابرياء .. مثلك .. أليس المفروض بنا ان نجند كل قوانا ؟!

الشعور بالظلم .

ـ من الذي طلب ...

فاضطروك لممارسة الكذب .

ـ لم اتصل به . هو مجرد اقتراح .

ـ لا تقدم على ...

ولهفة كريم البصري :

ـ ما كان ردهم ؟

ـ الرفض .

ـ باسم من يتكلم احمد ...

★ ★ ★

كنت بصدد مناقشة مشروعك مع احمد عبدالله .

ـ « اسمع اخ احمد » ... امس انت قلت : « لعلنا نحتاج الى جمع بعض التبرعات ... »

ساعتها سيتطلع اليك أحمد مستفهما ، فتقول :

ـ انا خبير متمرس بالسرقة . في الماضي نفذت اكثر من عشرين عملية سطو ناجحة على بيوت ضباط الشرطة . ما رأيكم لو وضعت خبرتي هذه في خدمة قضيتنا ؟

لن يفهم احمد عبدالله ما تعنيه بالضبط .

ـ نحن بحاجة الى مال ، وعملية سطو ناجحة على بيت مدير المصنع لن تستغرق مني ساعة واحدة ...

أحمد عبدالله وجعفر علي سيتبادلان نظرات متفهمة .

ـ السرقة ـ هنا ـ مبررة .

فتضيف أنت :

ـ نحن نسرق الذين يسرقوننا .

ولعل جعفر علي يتدخل قائلا :

ـ لو نجحت هذه العملية لطاش صواب المدير ، وفقد قدرته على التفكير السليم .

لكن غضب احمد عبدالله المفاجىء ..

ـ من الذي طلب ...

شل قدرتك على الكلام .

ـ لا تقدم على اية خطوة دون ...

مات الدافع ، وما عدت تملك القدرة على طرح الفكرة. متى سيكون الوقت مناسبا ؟!.. وان كان .. **فهل ستحظى** فكرتك بالقبول ؟!

المكسب الشخصي ...

فكرة لم تراودك . كل الذي تهدف اليه ...
ان اضع نفسي وخبراتي في خدمة القضية .

٥

المكان : بيت كاظم عبيد
الوقت : الساعة الخامسة مساء
الحالة : سكر غير شديد
الاشخاص :

١ ـ كاظم عبيد

٢ ـ كريم البصري

طرقات سريعة متلاحقة على الباب .

كاظم عبيد من الداخل : من ؟

الطرقات تعود باشد . كاظم عبيد يسرع الى الباب . الطرقات تتلاحق .

كاظم عبيد بغضب : من ؟

كريم البصري من الخارج : انا .. انا كريم .

كاظم عبيد يفتح الباب . يندهش .
وجه كريم البصري محتقن . عيناه جاحظتان .
رائحة « العرق المسيّح ، والقامةالمشدودة من غير توازن.

كريم البصري : انا .. انا اخوك كريم البصري .. الا تعرفني ؟!

كاظم عبيد : بلى .. ولكن ..

كريم البصري يقاطعه : ألا .. ألا تدعوني للدخول .

صمت قصير .

كاظم عبيد : تفضل .

★ ★ ★

كاظم عبيد : انت سكران !

يضع كريم البصري عينيه في عيني محدثه . يقول :

ـ انا سكران !.. لا .. لا .. لم أشرب سوى أربع كؤوس صغيرة .

كاظم عبيد بدهشة : ومتى شربت ؟!... نحن لم نغادر المصنع الا منذ ساعة واحدة !

كريم البصري : انتم توجهتم الىبيوتكم المحترمة

... وانا توجهت الى أقرب بار .

لا يمنع كاظم عبيد نفسه من الابتسام .

ـ ولماذا فعلت هذا ؟!

يضيق كريم البصري فتحة جفنيه .

ـ وتتجرأ فتسأل « لماذا » ؟!. ألا تعرف السبب ؟!

كاظم عبيد : لا .

كريم البصري : انتم السبب .

كاظم عبيد بدهشة : نحن السبب ؟!

لكن كريم البصري لا يعقب على دهشة كاظم عبيد، ويهمهم محدثا نفسه :

ـ انتم مساكين !

ثم يرتفع صوته الى مستواه الطبيعي :

ـ مساكين ... واسمح لي ان أقول .. « أغبياء » .. احمد عبدالله ، جعفر علي ، انت ، كلكم أغبياء ، عدا فاطمة ، فاطمة انسانة رائعة ، الا توافقني على هذا ؟

كاظم عبيد : ...

كريم البصري : لكنها ـ ايضا ـ غبية ، لا تكاد تشعر بوجودي ، لو اني اجرؤ

على مصارحتها !... انما كيف
أصارحها وأنا جبان ؟!
ضحكة ساخـرة ، مبتـورة ،
تنفلت من فمه ، ويستطرد :
ـ انا جبان . هل تعرف هذا ؟

كاظم عبيد : ...

كريم البصري : جبان جدا . كلهـم يقولـون :
« كريم البصري جبان ، قـدم
براءة من الحزب واعترف علـى
رفاقه »
يصمت برهة ، ثم يشير باصبعه
الى كاظم عبيد .
ـ كذلك انتم .. كلكم جبناء ..
لا تحسبون حسابـا لقـدرات
الانسان الجسدية والنفسية .
انتم محظوظون . لو ان التيار
جرفكم .. **السجن** والتعذيب..
لسقطتم مثلي !
يتوقف عن الكلام لثوان ، ثـم
يستطرد بحزن :
ـ نعم محظوظون . ولكن أيـن
الحظ الآن ؟.. اين المفر الآن؟!

كاظم عبيد **باهتمام** : ما الذي حدث ؟!
كريم البصري لا يجيب مباشرة.
يصمت . يجمع شتات افكاره .
يعقد حاجبيه . تنمحي انفعالات
الحزن والغضب من على وجهه،

ويحل محلها فزع مفاجىء .

ـ الاعتقـال !.. صـدر أمـر اعتقالكم . أنت، واحمدعبدالله، وجعفر علي .

يهم بالانصراف .

ـ لا بد من ذهابي قبل مجـيء الشرطة !

كاظم عبيد « بدهشة » : أية شرطة ؟!

كريم البصري : ....

كاظم عبيد « بفزع » : لماذا يجيئون ؟!

كريم البصري : ....

ظم عبيد « بفزع أشد » : كيف عرفت ؟

كانا قد وصلا قرب الباب .

ـيم البصري « بخبث » : سر المهنة .

كاظم عبيد « بحيرة » : لا افهم ما تعني !!

كريم البصري : والى الأبد لن تفهم . انتـم لا تميزون بين المخلص والجاسوس!

ويرتفع صوته فجاة :

اانـا جاسوس ؟!.. بربـك يا كاظم عبيد !..

.. اانا جاسوس ؟!!

٦

هل كان توقعك في محله ؟.. أم ان الخوف هو الـذي دفعك لاحكام اغلاق الباب ؟!

وهل ان عملية التوقيت بين ذهاب كريم البصري ومجيء الشرطة كانت مبيتة ؟.. أم انها محض صدفة ؟!

★ ★ ★

تلاحقت الطرقات . عنيفة . آمـرة . وتبـادلت أنت وزوجتك نظرات ذات معنى .

هلعها عليك ، وخوفك من الاعتقال . هل تذهب بنفسك الى الباب ، تفتحه ؟!

ـ اانت كاظم عبيد ؟

ـ نعـم .

ـ تعال معنا .

ـ الى اين ؟!

ـ لدينا أمر باعتقالك .

القيد يوضع في يديك . الى السيارة . الى المعتقل .

ـ صدر أمر اعتقالكم .. انت .. احمد عبدالله .. جعفر علي .

أم ان الهرب اسلم ؟! صوت زوجتك يصلك محشرجا مشحونا بالفزع :

ـ الباب !!

أنت معتاد على الهرب . هل نسيت أيام الكويت ؟!.. العمل في حفر المجاري ؟!.. مزاملة العمال الايرانيين ؟!.. العودة الى الحدود العراقية ؟!.. مخفوراً عدت .

والى المعتقل ـ الآن ـ مخفورا ستذهب .

الطرقات تكاد تحطم الباب . وعينا زوجتك تتوسلان المجهول .

ـ قولي لهم : « زوجي خرج قبل ساعة » .

لو انك سلمت نفسك اليهم .

ـ تعال معنا . .لدينا ..

لكنك بحاجة للاتصال باحمد عبدالله . واحمد عبدالله أهو معتقل ؟!

لو ساءت الامور أسلم نفسي غداً . أقول لهم : « كنت خارج البيت » .

ثم تقفز الى السلم . تتسلق السلم . السطح طريق . وسطوح بيوت الجيران . طريق . بامكانك العبور . بيت... ثلاثة ... خمسة .. حتى تصل الى ..

وتتوجه زوجتك الى الباب .

ـ من ؟

وحدها تواجههم

الذل . الكرامة . الطبقة ...

وصوتها الفزع :

ـ من بالباب ؟

تتريث قليلا . اذناك انتظار .

ـ افتحي !

ـ من أنت ؟

ـ نحن رجال الأمن . افتحي !

وحدها تواجههم .

ـ ماذا تريدون ؟!

هل تتريث أكثر لتعرف ما يريدون ؟!..

٧

الخدوش في ذراعيـك وصدرك . وعينـاك تطالعـان الجدار . هو بعلو ثلاثة أمتار . وبالرغم فقد اسقطت نفسك.

ما كانت الطريق الجانبية خالية . هناك مجموعة مـن الأطفال . الدهشة في عيونهم ، ويـداك تنفضان الغبار عـن ثيابك . أحد الأطفال ينفرد عن مجموعته . يركض ناحيـة باب المنزل الذي أسقطت نفسك من جداره .

ـ « ماما ! .. رجل نزل من .. »

ولا تسمع بقية صراخه . عليك أن تسرع . تهـرب . تختفي . يخيل اليك ...

الناس يعرفوني !

تعود تسوي ثيابك . تسرع الخطو .

اذا ركضت عرفوني !
اذا ركضت ركضوا ورائي !
عليّ ان أختفي بأسرع وقت ! .. أين أختفي ؟!. أين ؟!

بيت فاطمة يقع في نهايــة الشارع الــذي على اليمين ، وصوت احمد عبدالله يتداعى في أذنيك ..

ـ فاطمة انسانة جيدة .. نثق بها . رغم ...
فاطمة .. جيدة .. نثق .. فاطمة .. فا ..

بودك تركض . تطير . لكــن عيون النــاس تتابعــك . خطوك المسرع يثير اهتمامهم . هو الى الركض أقرب منه الى المشي .

كلهم يعرفون بهربي !

ذلك هو بيتها ، وكلما أوغلت ..

بيتهــا !!

يقل وجود الناس . وهي تسكن ...

وزوجتي !.. ماذا لو رفع احد رجال الشرطة يده .

ـ أين ذهب زوجك ؟
ـ خرج قبل ساعة .
ـ تكذبين !.. أيتها الـ ...
ـ أين ذهب زوجك ؟
ـ سيدي فتشنا المنزل .
ـ هل صعدتم الى السطح ؟
ـ نعــم .
ـ ايتها العاهرة !.. أين ذهب زوجك ؟

الحقد يغلي في صدرك .

ـ أين ذهب زوجك ؟
ستموت زوجتي !.. ستموت !

الغصة في فمك ، ويدك ترتفع لتطرق باب بيت فاطمة .

ـ من بالباب ؟
سيضربونها !
انا كاظم عبيد .
ـ ماذا تريد ؟

ستموت من الفزع !.. لوحدها أمام مجموعة من ...

ـ ((الاخت فاطمة موجودة)) ؟

ـ الاخت فاطمة غير موجودة .

لو كنت هناك ..

ـ متى تعود ؟

ـ لا أدري .

سيضعون القيد في يدي . الى سيارة الجيب .

ـ افتح الباب !

ـ لماذا ؟!

اعتقالي سيوفر عليها مواجهة ...

وهذا الصبي اللعين الكامن خلف الباب المغلق !!

ـ دعني انتظرها في الداخل !

ـ لا .

ـ الأمر مهم !

ـ لا .

ـ مهم جدا !!

ـ لا .

ـ ايها الحمار العنيد !

والرجل الذي برز من نهاية الطريق . وقوفك عند الباب ، وهذا الحوار العقيم مع صبي لئيم سيثير اهتمامه ، عليك ان تتظاهر بالبراءة ..

البراءة . البراءة . وكريم البصري كان قد قدم براءة من الحزب واعترف على رفاقه .. وشى بهم .. هو يعرف بامر الاعتقال !!

ـ سر المهنة .

لكيلا أثير اهتمام هذا الرجل سأنصرف في الاتجاه المعاكس لسيره .

٨

غرفة الضيوف في بيت فاطمة ، وكاظم عبيد يتجمع على نفسه عندما بدأ المفتاح يدور في قفل الباب .

ستفاجأ بوجودي !

أرجل الصبي تتسابق الى الباب .

ماذا سيقول لها ؟!

الباب يصر .

ـ جاء رجل قبل ساعة .

كاظم عبيد يرهف أذنيه .

ـ من هو ؟

فاطمة تسأل فيجيبها الصبي :

ـ اسمه كاظم عبيد .

اللهفة في صوتها :

ـ وماذا قال ؟

ـ طرق الباب . قلت له : « من أنت ؟ » .. قال :

« انا كاظم عبيد » .. قلت : « ماذا تريد ؟ » قال : « أريد الاخت فاطمة ! » .

كاظم عبيد يبتسم لنفسه .

طبعه غريب !!

اللهفة التي في صوت فاطمة توفر بعض الاطمئنان لكاظم عبيد ، وصوت الصبي :

ـ شتمني وذهب . وبعد قليل طرق الباب ثانية . « انا قارىء عدادات الكهرباء » .

تتسع ابتسامة كاظم عبيد .

لولا هذه الكذبة لما استطعت دخول المنزل ! هذا الصبي عنيد بشكل غريب جدا !!

خطوات فاطمة الى داخل البيت .

ـ انتظري !.. فتحت الباب . دخل . « مرحبا »

ـ « قلها من البداية ! »

صوتها فرحة ، وصوت الصبي حقد :

ـ هو خدعني !!

ثم يطل وجه فاطمة .

ـ مساء الخير .

يضطرب . يقف . يتمتم :

ـ أنا آسف !

تبتسم مشجعة ، فيستطرد :

ـ هو عنيد !.. كذبت عليه .. كنت مضطرا .

ـ « حسنا » فعلت .

تدخل . تجلس قبالته .

ـ الشرطة داهمت بيتي . أنا هربت . بيتك أقرب

مكان . احمد عبدالله قال لي : « فاطمـة انسانة جيـدة . نثق بها » .

الحزن يتجسد في عينيها :

ــ أنا ــ الآن ــ قادمـة من بيتـه . ذهبت اليـه كي أحذره . لم يكن هناك . أخذوه .

رد الفعل على وجه كاظم عبيد :

ــ وجعفر علي ؟

ــ لا أدري .

تسود ثواني صمت متوتر .

ــ الضربة كانت مفاجئة !

ــ وانت .. كيف استطعت الافلات ؟

ــ كريم البصري هو الذي انقذني . جـاء الى بيتي ، وحذرني من الاعتقال .

الدهشة على وجهها :

ــ وكيف عرف بانك احد الـ ...

لكنها تتوقف عن الكلام فجأة . عيناها تشردان علـى الجدران ، لتعودان ثانية الى وجه كاظم عبيد .

ــ سري . مستعجل جدا . طبعته على الآلة الكاتبة . وضعته داخل مظروف . اخذه المدير .

صوتها باكتشاف :

ــ كريم البصري على علاقة بالمدير !

ــ ...

ــ اكثر من علاقة عمل عاديـة . هو يعـرف الكثير . صباح هذا اليوم سألني : « هل تعرفين بأمر الاضراب ؟ ». « وهل تعلمين بأن المدير يعرف ؟! »

ــ ...

ــ الغريب في الأمر انه جاء اليك !!

ـ كان سكرانا .

ـ سكرانا ؟!!

ـ قال لي ...

ولم يتم . الكلمات ماتت في فمه . طرقات متلاحقة تتوالى على الباب . يتبادلان نظرات سريعة فزعة .

ـ هل تتوقعين زيارة معينة ؟

فيصله صوتها محشرجا :

ـ لا .

ـ هل تعتقدين .. ((الشرطة)) ؟

ـ لا ادري !!

الطرقات تعود تتوالى .

ـ هل رآك احد وانت تدخل البيت ؟

ـ لا ادري !!

ـ وما العمل ؟!

يلتمع في عينيه حس الاكتشاف .

ـ اين السلم ؟

ـ تعال من هنا !

٩

السلم . السطح . وحبـل الغسيل يمتد ـ افقيا ـ امامه من اقصى السطح الى اقصاه .

مد كفه مفتوحة الاصابع . كانت الشمس على وشك المغيب ، واطبق أصابعه على الحبل .

يا صاحبي !

الاصوات ـ من اسفل ـ تأتيه اشبه بهمهمات غيـر واضحة . لم يغامـر بالاقتراب من الحاجز ليتلصص ، لكن الاطمئنان بدأ يتسرب الى داخله .

لو كانت الشرطة ، لكانت الضوضاء .

الهمهمات تخف .

دخلـوا غرفة الضيوف . علي أن أنتظر اشارة مـن فاطمـة .

ولكن .. حتى متى سأظل مختفيا لديها ؟! .. رجل في بيت امرأة !

الصمت . الهدوء . والشمس حمراء .

لولا كريم البصري لكنت الان في ...

ـ كريم البصري على علاقة بالمدير .

ـ ...

ـ هو يعرف الكثير !

ـ ...

ـ انا جبان ! .. جبان جـــدا ! .. كلهم يقولون : « كريم البصري جبان .. قدم براءة من الحزبواعترف ..»

لو علمت فاطمة باني ـ ايضا ـ قدمت يومـا براءة ، فهـل ...

قرص الشمس يميل ناحية الافق .

الفرق بيني وبينه ... هو عضو في الحزب .. قدم براءة .. وشى برفاقه . اما انا ... القصيدة التي هجوت بها عبر الكريم قاسم هي السبب ، لولاها لما اشتبه احدهم بي ! .. ما كنت حزبيا ...

ـ كلكم جبناء ! ... لا تحسبون حسابـــا لقدرات الانسان الجسدية والنفسية !

١٠

قرص الشمس يلامس الافق .

ترى ... هل مرت فاطمة بتجربة شبيهة بالتجربة التـي ...

يسحب لصدره شهيقا عميقا .

يجيء رجل الأمن . خطواته معروفة لدينا جميعـا . يقف بمواجهتنا . القضبان الحديدية تفصلنا عنه . يصرخ :

« فلان الفلاني .. »

ـ ....

نتبادل النظرات . نفزع . نرثي لمن جاء دوره .

ـ نعم !

ـ الى التحقيق .

والتحقيق يمتد ، ويمتد . ستة اشهر .

قرص الشمس ما عاد يبان لعينيه .

يجيء رجل الامن . خطواته معروفـة لدينا . يقف قبالتنا . يصرخ :

ـ كاظم عبيـد !

اتبادل النظرات معه فقط .

ـ نعم !

ـ الى التحقيق .

* * *

ـ اسمك ؟

ـ كاظم عبيد .

ـ علاقتك بالحزب ؟

ـ والله لا علاقة لي !

ـ اسمك الحزبي ؟

لا اسم لي .

ـ من هو مسؤول خليتك ؟

ـ لا احـد .

ـ رفاقك ؟

ـ لا احـد .

ـ الافضل لك ان تعترف .

ـ بمـاذا ؟!

ـ اعترف فنطلق سراحك .

ـ انا لا املك اية معلومات فكيف ...

* * *

والتحقيق يمتد ، ويمتد ، ستة اشهر .

ـ اسمك ؟

ـ ...

ـ علاقتك بالحزب ؟
زوجتي . العمـل . الطريق . المقهى . الاصدقـاء .
زوجتي . لا معيل لها سواي .
ـ من هو مسؤول خليتك ؟
زوجتي . البيت.الصحف . السينما . طعام الغداء.
الخبز الحار .
ـ ما اسمك الحزبي ؟
مدفع الافطار . زوجتي . الاصدقاء . المقهى . قدح
شـاي حار .
ـ من هم رفاقك ؟
برتقالة واحدة . علبة سجاير واحدة . زوجتي . ولو
الیلة واحدة .

ـ الافضل لك ان تعترف .

زوجتي . وجبة عشاء . لا معيل لها سواي . لا معيل
لها ... لا ...

* * *

والتحقيق يمتد ، ويمتد ، ستة أشهر .
ما اسمك ؟
ـ كاظم عبيـد .
ـ اسمع يا كاظم ! .. انت بريء . حتى الآن لم يعترف
عليك احد ، سلوكك لا غبار عليه ، ولكن .. بقيت نقطـة
واحدة تشغل بالنا ..
.. لماذا هجوت الزعيم ؟!
ـ لانني مجنون .
فيضحك المحقق . يقول بلجهة لا تخلو من تعاطف :

ـ اعلن عن براءتك ، فنطلق سراحك .

الظلام يبدأ يخيم .

كنت قد عرفت ما هي البراءة . الشهور الستة علمتني بأن البراءة صفة دبقة تلازم الانسان الى الابد .

ـ أعلن عن براءتك فنطلق ...

تفصله عن ذاته وعن رفاقه .

ـ اعلن عن براءتك ..

ما كنت سياسيا ، ولا رفيقا ، وهي مجرد ((قصيدة نزوة)) هجوت بها ..

ـ اعلـن عن ...

وبالرغم فقد ترددت .

ـ اعلـن ...

قلت للمحقق :

ـ وان لم افعل ؟

يطبق ملفي الذي أمامه ، يتطلع اليّ لهجتـه لا تخلـو من تعاطف :

ـ رفضك يلصق التهمة بك . تهمـة الانتماء لتنظيـم حزبي محظور . وثبات هذه التهمة معناه ...

يبعد ملفي الى حيث سلة في طرف المكتب ، ويستطرد:

ـ ما لا يقل عن خمس سنوات سجن .

الظلام يخيّم تماما .

خمس سنـوات !.. ماذا فعلـت كي أسجـن خمس سنوات ؟!.. هي مجرد ((قصيدة نزوة)).. لن أكتب الشعر .. لن ..

وزوجتي التي لا معيل لها سواي !!..
ـ أعلن عن براءتك فنطلق ...
لم يبق من أثاث المنـــزل سوى المهم . وصوت المحقق بلهجته التي لا تخلو من تعاطف :
ـ اسمع يا كاظم !.. هل أنت حزبي ؟
ـ لا والله .
ـ أنا شخصيا أصدقك ، لكنـــي بحاجة الى دليـــل ملموس أقنع به المسؤولين على براءتك !
وقتها سألت نفسي :
ـ ((هل سأكون في يوم من الأيام حزبيا ؟))
فوصلني الجواب سريعا وقاطعا :
ـ ((لا)) .
ـ ((اذن فما المانع في ...))
وصوت المحقق بلهجته التي ...
ـ ((ها)) .. ما رأيك ؟
ـ ....
ـ ما رأيك ؟
ـ أنا طوع أمرك .

* * *

وعندما غادرت السجن اكتشفت :
ـ أنت مفصول من عملك .
ـ لماذا ؟!
ـ التنظيم الحزبي المحظور .
ـ لكن براءتي ثبتت !

* * *

بحثت عن عمل آخر ، وآخر ، وفي كل مرة ..

ـ طلبك مرفوض .
ـ لماذا ؟!
ـ التنظيم الحزبي الـ ...
ـ لكن براءتي ثبتت !

★ ★ ★

والذي بقي من الأثاث المهم جدا ما عاد باهمية الأكل .
قيل لي :
ـ في الكويت مجالات عمل كثيرة ...
تقدمت الى المسؤولين بطلب :
ـ زودوني بجواز سفر !
ـ أنت ممنوع عن السفر .
ـ لمـاذا ؟!
ـ التنظيم الـ ...
ـ لكن براءتي ...

وفي الكويت مجالات واسعة للعمل . السفر بلا جواز سفر . السفر سيرا على الأقدام . السفر بصحبة ايرانيين مجهولين .

ـ هل تعرف احدا في الكويت ؟

لا مفر من العمل في حفر المجاري . عشرون دينارا ، وزجاجة عطر . الحدود العراقية . صفوان . القيد .

الهمهمات ـ في الأسفل ـ بدأت تصل اليه أكثر وضوحا .

هم غادروا غرفة الضيوف .
الظلام على السطح . النور ينبعث من الأسفل . يغامر

بالاقتراب من الحاجز .. يطـل .. حيث باحـة المنـزل . يفاجأ :

ما الذي جاء به ؟!

عيناه وأذناه .

كيف وصل الى هنا ؟!

كريم البصري وصوته المخمور :

ـ لا بد أن أضع حدا حاسما لحياة العزوبية !

كريم البصري

اليوم الأول



ينفث دخان سيجارتي بثقة ، ويقول :

ـ المهم ان نبدأ من جديد ... المهم بدانا من جديد .

ـ انا معك ... الفكر لا يناله الموت ... او بالأحرى من الصعوبة أن يناله الموت ، لكن الذي ...

أريد أن ابرأ من الماضي والحاضر ، أعيش بصفاء راس ، لا اترك فجوة في رأسي .

ـ هل انت حزبي ؟

ـ هل تعتقد بجدوى هذه النضالات اليوميةالصغيرة؟!

ـ سنضعهم أمام الأمر الواقع .

لا تهتم ، فلست البريء الوحيد هنا .

ـ مطالبنا أو الاضراب !

اعتزالك السياسة لا يعني ابتعادك عن مركز الدائرة .

ـ وماذا كان ردهم ؟

هؤلاء عمال ، ولديهم فهم آخر للنضال . هم بحاجة لسياسي مثقف مثلي يتولى ...

ـ الرفض .

١

الأيام تمر متشابهة ثقيلة يقتلها الروتين ، وأنا قابع كالسلحفاة في هذه الوظيفة الحقيرة ... أمين مخزن .

أستيقظ في السابعة . دورة المياه . معجون الاسنان . الفرشاة . الثياب .

ـ هل أرغب في تناول الافطار ؟

ـ لا .

السيجارة تكفي ، ثم الى الطريق . من البيت الى العمل . من العمل الى البيت . من البيتالى البار . من البار الى البار .

أليس من الأفضل لك أن تتزوج .

ـ لا .

لقد شوهني الشك والفشل . أتذكر أيامي الأولى في العمل السياسي .. كنت مدفوعا باخلاص حقيقي ..

ـ هل ترغب في كأس اخرى ؟

ـ نعم .

وهذا الحصار الذي أحسه حولي !.. في الماضي كانت لي آمالي وتطلعاتي .

ـ تم تعيينك أمين مخزن في المصنع .

أمين مخزن . أكاد أكون غريبا وسط جمع من الغرباء. انا عاجز عن اقامة علاقة صميمية مع من حولي .
المدير ، ومحاولاته الضمنية من أجل أن يجعلني خنجرا يطعن به العمال . **والعمال** . احسني غريبا على عوالمهم . فقدت تلك الاصالة التي كنت عن طريقها استطيع اقتحام أكبر العقبات . بأية لغة احادث العمال ؟!

ـ تم تعيينك أمين مخزن في ...
ورغم كل الزمن الذي مر ، رغم الاحتكاك والممارسة ، رغم المزاملة ، فالعامل الوحيد، العامل اليتيم الذي استطعت كسب ثقته هو كاظم عبيد . قال لي :

ـ انا أكتب الشعر .
ـ هات احدى قصائدك أنشرها لك في صحيفتنا .
ـ كتبت قصيدة ثمنها ستة شهور سجن .
ـ انا ايضا مثلك ، كنت سجينا سياسيا ، فصلت من عملي وانا في السجن .
أحسه صادقا ، متوافقا مع نفسه . ومن جانبي لم استطع قول :

ـ كنت منهارا جسديا ونفسيا عندما نقلوني من السجن الى مكان التحقيق . كل الذي يهمني ان انتهي بسرعة ، وبأي شكل من الأشكال ، أن احسم الأمور بأية صورة كانت . تساقطهم الذليل أمامي دفعني لأن أكفر بكل شيء .

قال لي احد المسؤولين في التحقيق :
ـ نحن نعرف كل شيء ... وليس هناك مجال لبطولة بعد .

هل كنت أبحث عن بطولة ؟..
ـ لم ابحث عن بطولات .
فقال مسؤول آخر :
ـ كريم البصري انسان مدرك .
أحسسته يتملقني قليلا ، بينما عاد الأول يقول :

ـ المسألة بسيطة . لن تستغرق منك أكثر من ربع ساعة . خذ هذا القلم وهذه الأوراق ، واكتب اعترافك .
وكاظم عبيد ينظر الي باكبار .
ـ هل أنت حزبي ؟
فاجابني :
ـ لا .

ـ ابرياء كثيرون مثلك ذهبوا ضحية سياسة التنازلات التي مارسها حزبنا ايام ...

ويوم جلست القرفصاء في ركن بعيد من غرفة التحقيق . كنت منهارا جسديا و ...

ـ خذ هذا القلم وهذه الأوراق ...
وبدات اكتب واكتب ...
« كريم البصري جبان .. اعترف على رفاقه »
وصوت المحقق :
ـ هل انتهيت ؟
ـ نعم .
ـ بقي أن تنشر براءة في احدى الصحف .

« كريم البصري جبان .. وشى برفاقه وقدم براءة من الحزب » .
ـ هل انت حزبي ؟
ـ لا .

ـ لماذا سجنت اذن ؟!

ـ قصيدتي كانت هجاء لعبد الكريم قاسم .

وانا ماذا فعلت بموهبة الكتابة التي أمتلكها .

ـ هات احدى قصائدك انشرها ...

ولا اخجل من قول :

ـ عملي الصحفي وفر لي فرصة اقامة علاقات صداقة مع الكثير من المسؤولين .

ولا اتردد عن اضافة :

ـ عرضوا علي مناصب كثيرة ، الانسان موقف ، ومبدأ ، واخلاق ، لهذا تراني امين مخزن فقط .

عيناه تشربان كل الذي أقوله .

ـ خبّر رفاقك العمال باني على استعداد للتعاون معهم .

ـ ساخبرهم .

وعندما أسندت الي اول مهمة حزبية ...

ـ الصق هذه المنشورات على جدران بيوت المنطقة الفلانية .

احتفظت بالمنشورات لدي. الخوف. الاعتقالات قائمة على قدم وساق ، ثم أحرقتها جميعها بعد أربعة أيام .

٢

أيام السجن . شهور السجن . عمر السجن . كل الرغبات الانسانية ، صغيرها وكبيرها تأخذ طابعا مثيرا وحادا .

قراءة صحيفة . مشاهدة ساق امرأة . وفاطمة ، يبقى التردد في عينيها ازاء الود الذي تعرضه عليها . أنت ما صارحتها ، لكن معاملتك لها ، اكبارك لها ، جوعك، رغبتك، كل ذلك تشعر فاطمة به وتحسه .

هي سجينة من نوع آخر . سجينة جسدها . أربع سنوات منذ أن هجرها زوجها .

وفي السجن ... هل تجد الفرصة كي تحلم بالمرأة ؟!

الآخرون مشدودون الى الخارج بزوجات واطفال ، أنا .. لا شيء . ذلك وحده يمدني بقوة يفتقرون هم اليها. استطاعتي الصمود الى ما لا نهاية .

لكن تساقطهم الذليل أمامي ...

معهم ، وكنت أعيش منفصلا عنهم . لا احادثهم . نادرا ما أشترك معهم في مناقشاتهم اللامجدية . دائما أرتكن مكانا منزويا .

وكانوا يضيقون بي ذرعا . يمقتوني، لكنهم يحترموني. كاظم عبيد أيضا يحترمك ، وفي نفس الوقت لا يمقتك.

ـ هل أنت حزبي ؟

ـ لا .

ـ ابرياء كثيرون مثلك ...

وفي السجن كنت اكتب . مرة حاولت رصد حدث معين هزني ..

(جاءنا العريف . وقف بمواجهتنا ...

ـ محمود السلمان !

ومن البعيد جاء الرد مزمجرا :

ـ ماذا تريد ؟

محمود السلمان معروف لدينا . انسان صلب ، قضى سنوات شبابه في خدمة القضية .

ـ تعال معي !

قالها عريف الشرطة بتشف حاقد . اقترب محمود السلمان منه . وقف أمامه .

ـ الى اين تأخذني ؟!

ـ الى جهنم .

ـ « جهنم تأخذ راسك » !

يجن جنون العريف ، يرفع يده ، يصفع محمود السلمان ، محمود يركل العريف في بطنه .

ـ قتلني !!.. قتلني !!

العريف على الأرض يتلوى ، ورجال الشرطة يتوافدون راكضين .

ـ « من ضرب العريف ؟ »

ـ انـا .

فينهال عقب البندقيـة على راسه . يتهـاوى محمود السلمان على الأرض مضرجا بالدم .

ـ اضربوه !

فكانت الركلات .. الى بطنه .. الى صدره .. الـى راسه ، وكنا نقف كالمشلولين . ثم حملوه الى جهة مجهولة. ولم نسمع أخباره بعد ذلك) .

ليلتها ، وعلى ضوء ضعيف آت مـن خلال القضبـان كتبت ..

ـ انا اكتب الشعر .

ـ هات احدى قصائدك ..

٣

(الساعة التاسعة والنصف صباحا)

أن تتعاون مع العمال .. ليس بالقرار السهل . لعلك سكرت عشرات المرات ، وارقت ليال طوال . اعتزالك السياسة لا يعني ابتعادك عن مركز الدائرة .

وكاظم عبيد هو حلقة الاتصال .

هؤلاء عمال ، ولديهم فهم آخر للنضال . هم بحاجة لسياسي مثقف مثلي ، يتولى قيادتهم ، وتوجيههم .

والمدير الذي يتعامل معي ...

ـ مرحبا استاذ كريم .

ـ كيف الحال استاذ كريم ؟

ـ ما هي آخر اخبار النشاط الصحفي يا استاذ كريم ؟

ـ على ما يرام .

ـ متى تنشر التحقيق الصحفي الذي اعددته عن مصنعنا يا استاذ كريم ؟

ـ قريبا ان شاء ...

هو يحاول استغلالي حتى آخر الشوط . الاستفادة مني قدر الامكان . لكني حتما .. بل يجب أن أكون أذكى منه .

هو ـ على ما يبدو ـ يعلم بأمر الاضراب . والشائعة..

((المدير عيّن رئيس سجانين فراشا خاصا له))

بدأت تتأكد .

★ ★ ★

ان تتعاون مع العمال ليس بالقرار السهل ، لعلك سكرت عشرات المرات ، وأرقت ليال طوال . ويجيء عامل بسيط ، مجرد عامل بسيط ، فيقضي على كل هذه المعاناة . يسحقها .. يغتالها بقوله :

ـ لا .

دخل عليك كاظم عبيد وعيناه تحملان الحزن . له الحق ان يحزن .

لعله لا يملك ثمن علبة سجائر ... سأعطيه سيجارة. وتبادره القول :

ـ هل رأيت الجلاد ؟

ـ رأيته .

ـ المدير يعرف بأمر الاضراب !

ـ اظن .

اجاباته ليست مقتضبة ، لكنها حزينة . مختصرة . تدل على لا تحمسه . وتفكر بجره الى مناخ القضية ، فتقول بلهجة غنية بالمشاركة الوجدانية :

ـ علينا ان نعمل بسرعة !

ـ سينفذ الاضراب خلال أيام .

تندهش . هو لم يقل : « **سينفذ الاضراب** » وبالرغم

ـ هل أخبرت الاخوان عن رغبتي بالتعاون معكم ؟

ـ أخبرتهم .

ويصمت . ما به ؟!

ـ وماذا كان ردهم ؟

ـ الرفض .

ـ الرفض !!.. لماذا ؟!

ـ احمد عبدالله يقول : « لا نستطيع أن نثق بكل انسان » .

٤

هز ّلت !.. والله هزلت حتى سامها كـل مفلس !..
عامل بسيط ، مجرد عامل بسيط نكـرة ، يقضي على كـل شيء بقوله :

ـ لا .

هل يعرف ما هو النضال ؟!.. هل دفع ولو قليلا من ثمن النضال ؟!

ـ لا نستطيع أن نثق بكل انسان .

ماذا يظن في نفسه ؟!.. ومن هو حتى يطلق ـ مثل ـ هذه الأحكام القاطعة ؟!

ـ لا نستطيع أن نثق ..

أما كان الأحرى به أن يسأل :

ـ من هو كريم البصري ؟

أن يعرف :

ـ ما هو تاريخه النضالي ؟

أو يتردد :

ــ لماذا يبغي التعاون معنا ؟

والنضال .. أهو وقف على أمثال احمد عبدالله ؟!

ــ لا نستطيع ان ...

على اكتافنا نحن بني الحزب . ومن دمائنا الزكية سقيناه . ويجيء عامل نكرة ليقول :

ــ لا .

بمثل هذه البساطة ، وبكل هذه السهولة نصبح اصفارا على الشمال ؟!

ــ نعم أخبرتهم .

ــ باسم من يتكلم احمد عبدالله ؟!

ــ ....

ــ والآخرون .. ماذا قالوا ؟

ــ لا أدري .. أنا لا أعرف غير احمد عبدالله وجعفر علي .

ــ ماذا قال جعفر علي ؟

ــ ظل صامتا .

ولا كلمةحتى الىجانبي !!. هزلت .. والله هزلت !. ثلاثة عمال .. احمد عبدالله .. جعفر علي .. كاظم عبيد.. يجتمعون .. يناقشون موقف كريم البصري .

ــ هل أنت حزبي ؟

ــ لا .

ــ لماذا سجنت اذن ؟!

وينتهون الى قرار :

ــ لا نستطيع ان نثق بكل انسان .

واحمد عبدالله .. هل هو حزبي ؟! .. لعله .. لا . وذلك الذي بقي صامتا !.. أهي نوع من انواع دكتاتورية البروليتاريا ؟!

هكذا اذن يا اخواننا العمال !!

ـ لا بأس .. لا بأس ..

كيف سولت له نفسه أن يمنعني من تأدية واجبي النضالي ؟!

ـ لا بأس يا اخواني العمال !. سيجيء اليوم الذي تنصفوني فيه .

٥

عندما قرر كريم البصري أن يذهب الى غرفة فاطمة كان بأمس الحاجة لانسان يتحدث اليه ، ويشكوه همومه .

فاطمة امرأة « حبوبة » ، مثقفة ، وموقفها من مدير المصنع واضح. أكثر من مرة شاركتني الشكوى من الوضع. حلوة ، بجسد يتفجر أنوثة . هي نموذج خاص من النساء . فرضت وجودها علي من أول نظرة . ولا بد ان السيد المحترم احمد عبدالله شطب اسمها ـ ايضا ـ من مخيلته ، خاصة .. وهي سكرتيرة المدير .

★ ★ ★

ما ان دخل غرفة فاطمة حتى صدم بوجود رجل غريب، لكن ذلك لم يفت في عضده .

ـ صباح الخير .

ـ اهلا . تفضل !

تقدم منها . دار خلف كرسيها . انحنى على رأسها.
همس في أذنها بلهجة شبعها كل اهتمامه :

ـ هل عرفت بأمر الاضراب ؟

توقع ردها دهشا :

ـأي اضراب ؟!

فيجيئه صوتها :

ـ اعرف هذا . احمد اعطاني ورقة .

اجابتها رغم كل ما فيها من براءة أشبه بصفعة حادة سقطت على وجهه .

هيواحمد عبدالله يتحركان على أرض واحدة !

أهذا بالامكان ؟!

أم ان هذا الغبي يهدف الى الاصطياد في الماء العكر ؟!

الفرصة سانحة : « الاضراب . التعاون مع العمال . الطبقة العاملة . النضال من أجل اهداف عليا . ال . . ال . . » وهي انسانة طيبة . ساذجة .

من هذا المنطلق يوطد علاقته بها لكي يصل الى قلبها فيؤممها !

واحمد عبدالله ذاته وضع حدا لكل تحركات كريم البصري بقوله :

ـ لا .

وضع حدا حاسما لكل آماله وتطلعاته واحساساته !

يبدو ان حزبنا يا « احمد عبد الله » أوسع مما كنت أتصور !

لكن المهم من منا سينتصر في النهاية ؟!

فاطمة لا تعرف بأن كريم البصري :

ـ لا نستطيع أن نثق بكل انسان .

لو كانت تعرف لما قالت :

ـ احمد أعطاني ورقة .

اذن .. الفرصة ما زالت سانحة ، والحـرب لا زالت قائمة .

وان كان احمد عبدالله قـد كسب الجولـة الأولـى فالحرب جولات وجولات .

انحنى على أذنها ثانية . عانـق عبير شعرهـا . أحس برعشة لذيذة تجتاح جسده .

الرغبة في مضاجعتها . عجن هذا الجسد المتفجر أنوثة واثارة . ماذا لو أراها منطرحة على ظهرها . مستسلمة لي والنشوة ...

ثم همس :

ـ المدير ـ أيضا ـ يعرف . هل علمت بهذا ؟

جسدها ينتفض فزعا .

ما احلى لو انتفضت نشوة !!

ويجيء صوتها المرتعش :

ـ الأمر لا يخلو من خيانة !

أربع سنوات منذ هجرها زوجها ..

اما مارست الخيانة خلال سنوات الهجر ؟!

علاقتي بها لم تتطور الى الحد الذي ... فاعزف على أوتار جسدها « النبع » أروع سمفونية عرفها الجنس !

تمتد أصابعها .

حلوة !.. تؤكل !

تلقب أوراق ملف أمامها ، وصوتها أشبه بالمحموم :

ـ أنظر الى هذا الملف !

ما أروع لو .. وبنفس بحة الصوت :

ـ متى تجيء الى بيتي يا كريم ؟

يشاركها النظر ، وتستطرد بحس مكتشف :

ـ الآن أدركت سبب التوظيف الاستثنائي !

تميل برقبتها قليلا . أنفاسها تصافح وجهه . تداهمه رغبة أن يهمس داخل شفتيها ، لا قرب أذنها .

ـ برغم عدم وجود « عدم محكومية » !

لكن التلفون الداخلي يرن .

ـ المدير !

ثم تلتفت الى الرجل الغريب :

ـ تم تعيينك فراشا للادارة . ابدأ عملك منذ الآن . « تواجد » عند باب غرفة المدير .

يرفع كريم البصري قامته . الظروف لا تخدمه حتى نهاية الشوط .

نحن الآن في محضر رئيس السجانين !

الرجل الغريب يهم يخرج ، ولا يتمالك كريم البصري نفسه ، فيقول بسخرية :

ـ خذ معك سلاحا !

الغريب ينظر اليه بحقد ، وفاطمة بخوف :

ـ احترس ! .. هو رئيس سجانين !!

٦

المكان : غرفة المدير
الوقت : الساعة الحادية عشرة
الحالـة : حوار ساخن
الاشخاص : ـ
١ ـ كريم البصري
٢ ـ المدير

المدير : لماذا لا تجلس ؟!
كريم البصري : « بسيطة »
المدير : « أجلس يا اخي ... اجلس » !
....
المدير : « تاخذ سيجارة » ؟
كريم البصري : لا ... شكرا .
المدير : اقترب بكرسيك ! .. لا اريد ان يسمعنا احد!
....

المدير : اسمع استاذ كريم ! .. ليس لدي من اثق به في هذا المصنع سواك .

كريم البصري : ارجو ان اكون عند حسن ظنك .

المدير : بل انت أكثر من ذلك . لهذا السبب ستكون مساعدا لي عند استحداث هذه الوظيفة . ولعلمك .. كتبتالى المديرية العامة حول هذا الموضوع .

كريم البصري : ارجو لثقتك ان تكون في محلها .

المدير : وللحقيقة .. انا بيني وبينك اعتبرك مساعدي منذ الآن .

كريم البصري : شكرا

المدير : لكن الذي حز في نفسي ، وآلمني جدا انك واحد من قادة الاضراب !

كريم البصري بدهشة : ابدا ... اقسم لك بشرفي ... لست واحدا منهم !

المدير : اذن ... من المحرضين عليه !

كريم البصري : لا والله !

المدير : من الراضين عنه ؟

كريم البصري : ولا هذا .

المدير : من العارفين به ؟

كريم البصري : ....

المدير : اظنك لن تنكر هذا ؟!

كريم البصري : أعتزالي العمل السياسي لا يعني جهلي بما يدور حولي ، لكن معرفتي شيء ومشاركتي الفعلية شيء آخر .

المدير : بل ستشارك به .

يفاجأ كريم البصري . يقف بسرعـة ، وعلى فمـه :

: مـاذا ؟!!

المدير : اخفض من صوتك !

....

المدير : اجلس !.. اجلس !

....

المدير : « تاخذ سيجارة » ؟

كريم البصري : لا مانع ... شكرا .

المدير : دعنا نناقش بعض النقـاط بروح اخويـة ، واعصاب هادئة !

لكـن كريم البصري ينفث دخـان السيجارة باضطراب .

المدير : دعنا نتفق على بعض النقاط ... هل هنـاك تخطيط معين لاضراب معين ؟

كريم البصري : هناك .

المدير : الا تعتقد بأن تنفيذ مثل هذا الاضراب سيلحق ضررا مباشرا باقتصادنا الوطني ؟

كريم البصري : سيلحق .

المدير : من هذا المنطلق اتوجه اليك بالحديث . مـن كونك مساعدي ، والمسؤول الاول والاخير من بعدي ....

كريم البصري لا ينفث الدخان باضطراب .

٧

(الساعة الرابعة مساء)

في الماضي بحثت عن علاقة صميمية عبر ممارستي للعمل السياسي ، « لكن تساقطهم الذليل امامي » جعلني اكره ايام تعاملي معهم .

اما الآن فالامر يختلف . هؤلاء عمال ، ولديهم فهم آخر للنضال . هم بحاجة لسياسي مثقف مثلي كي يتولى قيادتهم وتوجيههم .

لينين قال ....

سواء قال ، او لم يقل ، علام تدور هـذه الافكار في ذهني ، وهم لم يسمعوا ولا كلمة من كلماتي ؟!

رفضوا تعاوني معهم ؟!

ـ لا نستطيع الثقة بكل انسان .

لم يكلف نفسه عناء السؤال :

ـ من هو كريم البصري ؟

ولم يتردد :

ـ ما هو تأريخه السياسي ؟!

الغبي ... يبغي ابعادي عن مركز القيادة !

احلى سنوات عمري دفعتها ثمنا رخيصا للعمل السياسي . سنوات شبابي قضيتها بين بطالة واعتقال وتشريد ، فهل المفروض بي هذه المرة ...

ـ استاذ كريم .. انا بصدد استحداث وظيفة جديدة . مساعد مدير ..

ـ لا نستطيع ان نثق بكل انسان .

ـ ولعلمك .. كتبت الى المديرية العامة حول هذا الموضوع .

ـ لا نستطيع ان نثق بكل ...

ـ ليس لدي من اثق به سواك .

ـ لا نستطيع ... نثق ..

ـ انت مساعدي منذ الان .

ـ لا نستطيع ...

ـ من هذا المنطلق اتوجه اليك . من كونك مساعدي ، والمسؤول الاول من بعدي .

ـ لا ....

وحياتي برمتها كانت سلسلة متصلة من المتاعب والانتكاسات ، فهل المفروض بي هذه المرة ...

ـ مساعد مدير ...

لو انهم يستحقون المغامرة لما ترددت بالمقامرة على مستقبلي ، ووظيفتي الجديدة ...

ـ لا ادري . انا لا اعرف غير احمد عبدالله وجعفر علي . احمد رفض ، وجعفر علي ظل صامتا .

ولكن ما بالي وهذا الصداع اللعين لم يرحمني !

وهذه الافكار المتضاربة تتصارع داخل راسي ، وتكاد تشل قدرتي على التفكير !

أحس بانني على شفا حفرة من الجنون !.. لاسكر ، ولأمت بعد ذلك .. والى جهنم وبئس المصير !!

٨

بار حقير ، وعرق رخيص !

خطا الى الداخل . المكان خال من الرواد .

عادة .. يفدون بعد السابعة .

النادل يبتسم . يقف .

ـ اهلا وسهلا .

كريم البصري يتفحص المكان . لا يحيي النادل . يتوجه ناحيـــة ركن منزو .

وسط دوامة من الاحداث التي تفعل بي ، ولا استطيع الفعل بها .. كيف أجبر الكسر في حياتي ؟!

النادل يقترب .

ـ ((نص ربع عرق)) !

النادل يبتعد .

((نص ربع)) والساعة لم تجاوز الرابعة والنصف ، ولم لا .. ما دام الصحو عذابي ؟!

اليس الافضل لهذا الراس ان يظل مخدرا ؟!

الطعم اللاذع للعرق ، ويده تسارع الى اناء امامه . دس شريحة الليمون في فمه .

لا شيء مهم . لن اغير وجه العالم !

رفع قنينة العرق . حدد عينيه عليها .

قبل استلامي لعملي الصحفي قال لي احد المسؤولين :

ـ كن حذرا في كتاباتك !

ـ لا افهم !

ـ اقصد ... اياك واثارة الاحقاد !

ـ احقــاد !!

ـ ان تفهم بأن كل الذي حـــدث بيننا وبينكم لم يكن انتقاما او تصفية حساب ، وانما كان تنقية جو .

ـ افهم هذا جيداً ..

افرغ العرق المتبقي في كأسه .

العمل شيء ، والتعاون شيء آخر . وانا لحد الآن ..

وضع قطعة ثلج .

لكن موقف احمد عبدالله المتطرف :

ـ لا نستطيع ...

وجعفر علي :

ـ ...

وكاظم عبيــد :

ـ ما كان بامكاني ...

واخيرا موقف المدير :

ـ سأرفع كتابا الى مديرية الامن ! .. لن تمر هــذه الليلة الا وهؤلاء الثلاثة في المعتقل !

المعتقل ... المعتقل ...

افرغ الكأس الثانية في جوفه .

ـ يا نادل !

ـ نعم .
ـ ((نص ربع آخر)) !
ـ حاضر .
المعتقل ... وعندما تقدم عريف الشرطة :
ـ محمود السلمان !
ـ ماذا تريد ؟!
ـ تعـال معي .
ـ الى اين تأخذني ؟
ـ الى جهنم !
ـ جهنم ((تأخذ راسك)) !
ـ .. قتلني !!.. قتلني !
ـ من ضرب العريف ؟!
ـ انـا .

فينهال اخمص البندقيـة على راسـه . يتهاوى على الارض ... بدمائه .
كاظم عبيد شبيه بمحمود السلمان . هما يكتبان الشعر الثوري ، وعاطفيان اكثر من اللازم .
النادل يضع القنينة امامه . يمد يـده اليها. يفتحها . يصب لنفسه قدحا .

نعم .. كاظم عبيد عاطفي ، ينفعل بسرعة. سيدخل مع رجال الشرطة في معركة جسدية ... تماما مثلما فعل محمود السلمان .
تجرع الكأس الثالثة .
ـ سيطرقون باب بيته .
ـ مـن ؟
ـ نحن رجال الشرطة .

ـ ماذا تريدون ؟!
ـ نريدك انت ... هيء نفسك بسرعة .
ـ اين ستأخذوني ؟
ـ الى جهنم .
ـ « جهنم تأخذ رأسكم » !
ـ كلب !!
ثم يخطو احدهم صوب كاظم عبيد ..
ـ انا كذلك اكتب الشعر ..
يضربه على ظهره باخمص البندقية ...
مفعول ألكؤوس الثلاثة بدأ يظهر على عينيه .
يتقدم شرطي آخر . يضربـه على راسه هذه المـرة . يتهاوى .. بدمه .
يدور بعينيه . يبحث عن النادل .
ـ يا نـادل !
ـ نعم .
ـ « نص ربع » !
ـ حاضر .
ـ او .. اسمع !
ـ نعم .
ـ كم حسابك ؟
ـ ....

ثم تجرع الكأس الرابعة بسرعة ، ونهض . احس انتشاء لذيـذا ، وخفة متجددة في جسـده .

تذكر موعد عمله في الصحيفة .

أيشفع لي ... انا فلان الفلاني اعلن براءتي مـن ... وساكون مخلصا لديني ووطني وقوميتي ؟!

يتجه ناحية الباب .

يلعن ابو الجريدة ! ... يلعن ابو العمل ! .. يلعن ابو المدير ...

يستند الى الباب .

ويقول : « انا ايضا اكتب الشعر . قصيدة واحدة . عبد الكريم قاسم . ستة شهور سجن .. »

يا كاظم عبيد ! ... يا كاظم عبيد ! ... سيطرقون باب بيتــك ..

ـ مــن ؟

ـ الشرطة .

يا كاظم عبيد «خذني فى السفينة !» (١) ... يا كا ... سأطرق باب بيته .

ـ مــن ؟

ـ انا كريم البصري اعلــن براءتي مــن ...

---

(١) من قصيدة للشاعر سعدي يوسف

٩

كانت الساعة تقارب الخامسة والنصف مساء عندما دخل كريم البصري الى البار ثانية . اقترب هذه المرة من النادل :

ـ « الله بالخير »

ـ اهلا وسهلا .

ـ « ربع عرق مسيح » اذا سمحت !

ـ حاضر .

ثم اتجه ناحية الركن الذي كان يجلس فيه قبل ذهابه الى بيت كاظم عبيد .

الصديق وقت الضيق ، والعرق خير صديق ، وهذا الرأس الحقير يجب ان يظل مخدرا الى الابد .

ـ اين العرق ؟!

صرخ باعلى صوته، فاجابه النادل . وهو يسرع ناحيته :

ها هو ... ها هو ...

ـ ضعه أمامي !.. قربه أكثر !.. أكثر .. « يلعن ابو الشغل ! »

صب لنفسه كأسا .

لأسكر ... واسكر ... واسكر ... والى جهنم وبئس المصير بكاظم عبيد ... وبغير كاظم عبيد !!

تجرع الكأس .

الكلب ! .. يفتح باب بيته . لا يقول :

ـ السلام عليكم .

بل يقول :

ـ انت سكران !

ابن الحرام ! .. اسألني :

ـ ما الذي جاء بك يا استاذ كريم ؟!

لكنه غبي ! .. كلهم اغبياء !! ... ينظر الي باندهاش .

ـ متى شربت ؟! .. نحن لم نغادر المصنع الا منذ ساعة!

متى تفهم .. متى يا .. انتم بسطاء. سذج لا تعرفون المعاناة ولا الآلام النفسية . لا تعرفون بأنكم توجهتم الى بيوتكم .. وأنا الى هذا البار !

ـ ولماذا فعلت هذا ؟!

يصب كأسا ثانية .

لا بد انك تعلمت التحقيق ايام الاعتقال ! .. غبي ! .. لا يسألني :

ـ ما الدافع لهذه الزيارة غير المتوقعة ؟!

بل يسألني :

ـ متى سكرت ؟ .. لماذا سكرت ؟

لو اني تركته دون ان اقول له :

ـ صدر امر اعتقالكم ... الثلاثة ...

ولكن ما الفـــرق بين ان اقول او لا اقـول ما دام لم يصدقني ؟! .. « ولا على السكران حرج » ...

الآن صدقني . صدقني تماما ، وخاصة بعدما اجتمع الثلاثي الثوري في السجن .

رفع الكأس الى فمه .

سيدور بينهم حوار ..

ـ كريم البصري حذرني . لكني لم اصدقه !

ـ ليتنا وثقنا به منذ البداية !

فيجيبهما جعفر علي ، الذي تعود الصمت :

ـ لو اننا وثقنا به ... لمـــا ...

ماذا يفيد الندم ؟! .. ادفعوا ثمن تشككم بنزاهتي !.. كلكم اغبياء !

كلكم .. عدا انسانة واحدة .

ـ اعرف .. احمد اعطاني ورقة .

حتى الى هذه الانسانة الطيبة تسللت أصابعه !

ـ ... اعطاني ورقــة .

وغدا رسالة غرام . انما اين الغد ؟ .. وفي معصمك القيــد !

ـ ليتنا وثقنا بكريم البصري منذ البداية !

الآن ، وبعد فوات الاوان تعرفون قيمة كريم البصري.

الفرح يتفرع داخل نفسه وهو يرسم صورة الحـــوار الذي يدور بين احمد عبدالله وجعفر علي وكاظم عبيد داخل المعتقــل .

سيقول لهم كاظم عبيد :

ـ انا لم ارشحه للتعاون معنا جزافا . هو كادر في الحزب . مرة قال لي : « ابرياء كثـيرون ذهبوا ضحيـة

سياسة التنازلات التي مارسها حزبنا في عهد عبد الكريم قاسم » . هو يتكلم بمنطق الرجل المسؤول ، لكنكم شككتم في نزاهته .

يمــلأ الكأس الثالثة .

فيجيبه احمد عبدالله :

ـ ليتنا وثقنا به !

يأتي على ما في الكأس دفعة واحدة . المرئيات التــي امامه لا تكاد تستقر بوضع معين .

مع المدير كان علي ان العب الدور باتقان . والا لماذا خلق هذا الرأس المفكر ؟!

المصلحة العامة تقتضي ذلك . اعتقال الثلاثة لن ينهي الحركة . بل سيبدأ بها . سأذهب الى فاطمة ، وبمخطط علمي مدروس نمسك رأس الخيط . لينين قال ..

يبحث بعينيه عن النادل .

ـ يا نــادل !

ـ نعــم .

ـ « نص ربع » !

ـ حاضر .

ـ او ... اسمع !

ـ نعم !

ـ كم حسابك ؟

★ ★ ★

خرج الى الطريق . الرياح الرطبــة تصافح وجهه ، فتزيد من تداخل المرئيات ببعضها .

سأطرق بابها .

ـ مــن ؟

ـ انا اخوك كريم البصري .

ـ اهلا وسهلا .

وستتردد قليـلا ، ليس مـن السهل عليهـا ان تستقبل رجلا في بيتها دون مناسبة .

ـ ما الذي جاء بك في مثل هذا الوقت ؟

ـ الاضراب . العمال . حركتنا الوطنية .

سترتسم الدهشة على وجهها .

ـ لا افهم !!

ـ هل علمت باعتقال كل من .. احمـد عبدالله ، وجعفر علي ، وكاظم عبيد ؟!

ستفاجـأ :

ـ لا !

ثم تنظر في عيني .

ـ لا يمكننا ان نظل على الباب ! .. ادخـل ! .. ادخـل !

بها وحدها أبدأ ، ومعها وحدها سأرسم مخططا علميا مدروسا . سنكون وحدنا ... وحدنا ...

وبرغم عدم اتـزان خطواته فقد حثها .

١٠

توالت الطرقات على الباب فتبادلت فاطمة مع كاظم عبيـد نظرات سريعة فزعـة .

ـ هل تتوقعين زيارة معينة ؟

فيصله جوابها محشرجا :

ـ لا .

ـ هل تتوقعين .. الشرطة ؟

ـ لا ادري .

الطرقات تعود تتوالى .

ـ هل رآك احد وانت تدخل البيت ؟

يجيبها كاظم عبيد :

ـ لا ادري .

الفـزع . الحيرة .

ـ وما العمل ؟!

ـ لا بد من اختفائي في ...

ثم ينقطع همسه . حس الاكتشاف . يلتمع في عينيه .

ـ اين السلم ؟

ـ تعال من هنا !

كاظم عبيد ينفلت من الغرفة فيحتويه السلم . فاطمة تتلفت حولها ، وكأنها تتأكد من عدم وجود ما يدينها لو ان الطارق كان من رجال ...

ـ ها انا قادمة !

تسرع ناحية الباب .

مـن ؟

فيصلها الجواب غير متوقع بالمـرة :

ـ انا .. انا اخوك كريم البصري .

يدها تتصلب على مزلاج الباب ، وفي ذهنها تتجسد علامة استفهام كبيرة :

مـا الذي جاء بـه ؟!

ـانا اخوك كريم البصري .

تتردد برهة . تطلق زفرة استياء . تفتح . فتصطدم بابتسامته العريضة ، ووجهه المحتقن .

ـ مساء الخير .

ـ ....

عيناه جاحظتان ، وقدماه لا تكادان تثبتان على الارض . لا ترد على مساء خيره ، تقول بانزعاج :

ـ انت مخمور !

فتضيع الابتسامة . تضيع الفرحـة . تضيع الخطط العلمية المدروسة .

ـ آسف !.. آسف جدا !.. ازعجتك !

ـ جـدا .

هل يقفل راجعا ؟

ـ ماذا تريد ؟!

الهزيمة . اللعنة . الخسارة . التحـدي . الـذل . بالرغم فلا بد من تبرير على الأقل .

ـ لي معك حديث مهم !

ـ ...

ـ لقد اخذوهم الى السجن !

ـ اعرف .

كلمة .. « أعرف » .. أشبه بصفعة مدويـة تسقط على وجهه .

ـ اعرف .. احمد اعطاني ورقة .

هل يعود ؟! البار لا زال ! .. اهذا هو النضال ؟! بعد ثوان « ستصفق » الباب في وجهه .

انا احبها واحترمها وهي ...

موجة حزن عارمة تجتاح صدره .

ـ هو حديث مهم !!

ـ ...

الغصة في فمه :

ـ مهم جد !!

ـ ...

الدموع تملأ عينيه :

ـ والله مهم جدا !!

تقرب ما بين حاجبيها . تنظر في عينيه لثوان . تفسح له طريق الدخول .

★ ★ ★

يلقي جسده على اقرب كرسي . الهزيمة . الاحساس

بالخزي وكل ما في الغرفة من موجودات ينمحي ليعود ثانية مغيرا حجمه ومكانه .

انا تعبان !

يحاول ـ جاهدا ـ ان يجمع شتات افكاره . هــو بأمس الحاجة لـ ...

ـ هل لديك قدح من عصير الليمون ؟

ـ لا .

المرئيات تدور . تتداخل ببعضها .

ـ قهوة ؟

ـ لا .

ينظر اليها . عيناه لا تثبتان على مكان معين من وجهها. ابتسامة حزينة ترتسم على فمه .

ـ انت الانسانة الوحيــدة التــي اعزها . نعــم .. انت الـ ...

فتقاطعــه :

ـ هل جئت كي تقول هذا ؟!

ابتسامته تبهت .

ـ لا .

يصمت . عيناه تضيعان مع أشياء الغرفة . تغيمان .

ـ جئت كي اقول : « هم اعتقلوا » . لم يتيسر لــي الوقت لتحذيرهم جميعا . ذهبت الى كاظم عبيد أحــذره ، فضحك مني . قلت له : « كن على حذر .. الشرطة ! » فاجابني صارخا : « اغرب عن وجهي يا جاسوس ! » أانا جاسوس يا فاطمة ؟!

ـ ...

ـ واحمد عبدالله . قبل أيام قلت لــه : « يجب ان نكون يدا واحدة . لا بد من تعاوننا ! » . فاجابني : «اخرس

يا جاسوس !)) . بماذا ارد عليه ؟.. اأنا جاسوس يـــا فاطمــة ؟!

ـ ...

يقرب رأسه الى امام قليلا .

ـأبعد سنوات النضال والسجن والتعذيب اتحــول الى جاسوس ؟! مجرد جاسوس حقير!!.وجعفر علي مثلهم ايضا ، لكن الذنب ذنبي ! نعم . الذنب ذنبي لو انيرضيت بالمنصب الذي عرض علي لاجبرتهم على احترامي .

يتوقف لثوان . يسحب لصدره شهيقا عميقا ، يطلقه زفــرة .

ـ ((لديك ليمون ؟))

ـ لا .

ـ هل تعلمين بان المدير ارسل في طلبي عشرات المرات؟!
((اسمع استاذ كريم .. انا بحاجة لانسان مثقف مثلـــك لكي يتسلم مهام منصب مساعد مدير ..))
((يا سيدي المدير .. المبادىء لا تباع . ولا تشترى))

يضيق ما بين جفنيه .

ـ ((لديك قهوة ؟)) .

ـ لا .

ـ اليوم . ((تصوري)) !.. صبــاح اليــوم ارسل علي ... ((استاذ كريم .. انا بصدد ترك هذه الوظيفـة فما رأيك ؟)) أجبته : ((لا راي لي)) . فيبتسم . ((هــل ترغب بتولي مهــام منصبي ؟)) . ((لا)) . فيتوسلني : ((لماذا لا ؟! انت انسان مثقف وجدير بهذا المنصب . نحــن بحاجة اليك !!)) ((يا سيدي المدير .. المبادىء لا تبــاع ،

ولا تشترى » ويقولون عني « جاسوس » .. أأنا جاسوس يا فاطمة ؟!

ـ ...

ـ لو كنت جاسوسا لما ذهبت الىكاظم عبيد أحذره!. لكنهم أغبياء !.. كلهم أغبياء باستثنائك انت ...

يزحف بكرسيه الى أمام . يخفض من صوته :

ـ « عندك شاي » ؟

ـ لا .

ـ المدير عارف بكل شيء . صباح اليوم : « استاذ كريم .. هل علمت بأمر الدعوة المشبوهة للاضراب ؟ » . فتصنعت الدهشة : « اضراب !! » « نعم .. اضراب في مصنعنا .. » .. « لم أسمع بشيء من هذا القبيل ! » يمد يده الى درج مكتبه . يخرج ورقة يدفعها الي. « خذ اقرأ » كانت قائمة باسماء العمال المحرضين على الاضراب . احمد عبدالله . جعفر علي . كاظم عبيد . وفاطمة .

الاشمئزاز على وجه فاطمة .

ـ انا ؟!

فيجيبها بقناعة وايمان :

ـ نعم انت .

فاطمة تبتسم .

ـ ابتسمي . اطمئني . قري عينا . ولكن من هو صاحب الفضل الأول والأخير في ابعاد الشبهات عنك ؟!

ـ كريم البصري .

ـ بالضبط . لهذا السبب اقول .. فاطمة افضل الجميع واذكاهم .. نعم افضل الـ ...

تسود ثواني صمت ، لاحظت فاطمة خلالها ان الاجهاد بدأ يظهر على وجه كريم البصري بأشد .

عيناه ما عادتا تقويان على التحقيق في شيء معين . جفناه ينشدان الى بعضهما، فيبذل جهدا جبارا كي يفتحهما.

ـ ألا يوجد لي.....مون ؟

ـ لا .

ـ قهو.....وة ؟

ـ لا .

ـ شـ ... شاي ؟

ـ لا .

ـ أي منبه ؟

ـ لا .

ـ أنا .. أنا ..

ـ أنت بحاجة الى ماء بارد .

ينفض رأسه .

ـ ماء ؟!

تنهض من مكانها . تقترب منه .

ـ تعال معي .

الخوف في عينيه .

ـ الى اين ؟!

ـ الى حنفية الماء .

ـ لـ .. لـ .. لماذا ؟

ـ لكي تصحو .

تمسك ذراعه . ينظر الى اصابعها . يبتسم . يحرك يده الأخرى . ولا يجرؤ على اللمس .

ـ اصابعك حلوة !

ـ هيا بنا .

يستسلم . ينهض برفقتها .

ـ لا بد أن أضع حدا حاسما لحياة العزوبية !

ـ ....

ـ لو كنت متزوجا !

ـ ....

ـ ما رأيك لو أتزوج !

كانا قد وصلا حنفية الماء .

ـ ضع رأسك تحت الحنفية !

ـ حسنات الزواج أكثر من سيئاته .

ـ ....

ـ بل هو من غير سيئات .

ـ ضع رأسك تحت حنفية الماء !

ـ حاضر .. حاضر .. أنت امرأة عظيمة !

يتدفق الماء . كريم البصري يتأوه .

ـ سينعشك الماء .

ـ والله أنت أروع امرأة عرفتها !

ـ هل تشعر بتحسن ؟

ـ أنت أروع امرأة في العالم !

ـ ....

ـ محظوظ من يتزوجك !

ـ خذ .. جفف شعرك .

تناوله منشفة .

ـ كيف حالك الآن ؟

ـ أنت أروع النساء على الاطلاق !

ـ هل زال الدوار ؟

يحدق في وجهها

ـ لماذا تظني بأني سكران ؟

ـ أنت بحاجة لأن تنام .

ـ لن أنام قبل أن أضع حدا حاسما لحياة العزوبية .
((أنت لا تعلمين)) .. هي جحيم لا يطاق !

ـ هيا .. اذهب الى بيتك . انا ـ أيضا ـ متعبة .

يدها تدفعه بلطف نحو الباب .

ـ نسيت الأمر الذي جئت من اجله !

ـ ....

يقف . يستدير . وجهه اليها .

ـ بالنسبة للجماعة !

ـ الجماعة ؟!

ـ اخواننا العمال !

ـ دع موضوعهم الآن .

ـ الأمر مهم !

ـ انا متعبة جدا .

ـ اذن ... سأعود اليك ثانية .. يجب أن نتحدث عن الموضوع بالتفصيل ... علينا انا وانت .. انا وانت بالذات ان نتصرف بسرعة .

يدها ـ ثانية ـ تدفعه . تفتح أمامه الباب .

ـ توجه الى البيت مباشرة !

ـ البيت ؟! .. كيف ؟!.. ألا تعلمين ... هناك الشرطة ... هم بانتظاري ...



الزاير

اليوم الأول



ـ سيدي .. أنا صاحب عائلة . زوجة ، وأطفال . « ابني الكبير » مات في الحرب . وأنا بلا عمل !

ـ ....

ـ خبرتي في ميادين السجن والمساجين . لكني لن أمتنع عن ممارسة أي عمل .

ـ ....

ـ سبع عشرة سنة رئيس سجانين ، وسبع سنوات قبلها كنت سجانا فقط .

ـ ....

ـ نعم هي خبرة طويلة . غير اني ارتكبت خطأ جلب علي غضب مدير السجن . المدير ضربني ، فضربته ، ثم سجنني ، وطردني من عملي . لم أسجنه ، ولم أطرده من عمله .

ـ ....

ـ لا ... أنا لا أجيد القراءة والكتابة . لكن ابني الأكبر استشهد في سبيل الوطن .

١

ـ أنت كبير السن ، ولا تجيد القــراءة والكتابــة ، وبالاضافة الى كل هذا محكوم سابق . سجين لسبب غــير سياسي . فماذا أستطيع أن أفعل لك ؟!

هذا ما قاله مسؤول التــوظيف في المديريــة العامــة بالامس ، وأضاف ازاء الحاح الزاير :

ـ لا أدري !.. أنت تحيرني ، وتزعجني !

ثم عاد يتصفح الملف .

ـ اسمع !.. خذ هذه الورقــة . اذهب الى هــذا العنوان . مدير المصنع بحاجة الى فراش . فــاذا رضي أن يستخدمك لديه ، وهذا احتمال بعيد . الوظيفة تحتــاج الى شاب يعرف القراءة والكتابة على الأقل .

وبينما كان الزاير يهم ينصرف يصله صوت الموظف :

ـ تعال .. خذ ملفك معك . ان لم يستخدمك مدير

هذا المصنع فالأفضل لك مراجعة جـهة أخرى .. مديريـة ثانية .. أنا لا أستطيع مساعدتك أكثر مما فعلت .

★ ★ ★

اذن فالقضية قضية هذا المصنع ، وهذا المدير !

وفجر اليوم .. معك زوجتك تتحرك باهتمام ، عليهـا أن تظهرك بالمظهر المناسب . الهندام . الشوارب . والحذاء الذي يرفض يلمع .

ـ **((الله معك))** .

المدير قبل دقائق مر الى جانبك . أنت ـ عن لاوعي ـ وقفت باستعداد . هو لم يعـرك اهتماما . وبالرغـم فأنت تحس بأن كل شيء ممكن .

٢

لم يتردد الزاير كثيرا . اقترب من باب غرفة مدير المصنع ، وبهدوء مد يده الى الأكرة ، وبالثانية .. طرقات مستحية . صوت المدير من الداخل :

ـ ادخل .

يدخل الزاير بخطوات منتظمة . وفي منتصف الغرفة يقف . ثم تدوي تحية عسكرية .
دهشة ضاحكة تتجسد على وجه المدير .

ـ ماذا تريد ؟!

الزاير : **انا الفراش يا سيدي .**
المدير يعقد حاجبيه :
ـ فراش !!
الزاير يرخي يده المصلوبة ـ بالتحية العسكرية ـ ينحني بنصف جسده الأعلى الى أمام قليلا .
ـ أنا طالب وظيفة الفراش يا سيدي .

ـ **وماذا تريد مني ؟!**

ـ **....**

ـ **المديرية العامة هي التي تتولى أمور التعيين !**

ـ **هم قالوا : « خذ معك هذا الملف ، واذهب الى...**

يتقدم . يضع الملف على المكتب . تحت عيني المدير . يرجع الى الوراء خطوتين نظاميتين ، ويأخذ وضع الاستعداد ثانية . المدير لا يمنع نفسه عن أن يبتسم . يبدأ يتصفح الملف وهو يقول :

ـ **انت تكاد تصل سن ...**

ويتوقف عن الكلام فجأة . الاهتمام يرتسم على وجهه وهو يقرأ :

ـ **الوظيفة السابقة .. رئيس سجانين ..**

ـ **نعم سيدي .**

يرفع عينيه الى الزاير .

ـ **لماذا تركت وظيفتك هذه ؟!**

وقبل سماعه الرد يقول :

ـ **ملفك ناقص .. تنقصه شهادة عدم محكومية !!**

الزاير ـ مرة أخرى ـ يرخي يده المصلوبة بالتحية العسكرية . يمدها الى جيبه . يخرج ورقة . يتقدم . يدفع بالورقة .

ـ **حاولت الحصول على عدم محكومية فأعطوني هذه !**

المدير يتناول الورقة . حاجباه يرتفعان .

ـ **هذه شهادة محكومية !**

ـ **نعم سيدي .**

ـ **أنت سجنت ستة أشهر !**

ـ **نعم سيدي .**

يضع الورقة . يتناول غليونه . ينفث الدخان وعيناه على وجه الزاير .

ــ انت سجان وسجين نفس الوقت !

ــ نعم سيدي .

ــ ولماذا سجنت ؟

ــ ضربني مدير السجن .

ــ ضربك . ثم سجنك . غير معقول !!

ــ أسأت التصرف ، فضربني .

ــ لا بد انك كنت في حالة دفاع عن النفس !

ــ لا أفهم يا سيدي !

ــ أعني .. انك ضربته مثلما ضربك !

ــ لا يا سيدي .. لكني منعته عن أن يضرب أحد السجناء .

الاهتمام يتزايد على وجه المدير .

ــ ولماذا منعته ؟

ــ لأن السجين خطر . قاتل شخصين . محكوم بالأشغال الشاقة المؤبدة . خشيت أن يجن جنونه فيهوي على رأس مدير السجن بالمعول الذي في يده .

ــ معول ؟!

ــ السجين كان يؤدي حصته اليومية من الأشغال الشاقة . يحفر الأرض ويردمها .

المدير ينفث دخان غليونه .

ــ وبعد ؟

ــ اقترب المدير من السجين . كنا في جولة تفتيشية. اقترب منه ، وقال : « الشكاوى كثيرة ضدك. أنت مشاغب. لماذا اعتديت بالضرب على زميل لك في المطعم صباح اليوم ؟!» فأجابه السجين بانزعاج : «لم أضرب أحدا . لست مشاغبا»

مدير السجن غضب من اجابة السجين . اقترب منه . رفع يده كي يصفع السجين . أنا أعرف السجين جيدا . عاشرته عشر سنوات . هو عصبي . مجنون . لن يتورع عن ضرب المدير بالمعول الذي في يده . قفزت بسرعة . صرت بينهما . صفعة المدير سقطت على وجهي بدلا من وجه السجين .

المدير لا يمنع نفسه عن الابتسام ، فيستطرد الزاير ، والحماس واضح على وجهه :

ـ المدير غضب من تصرفي . صفعني ثانية وثالثة . الفكرة التي كانت تشغل ذهني هي ابعاده عن معول السجين. احتضنته من ((حزامه)) . حملته بين ذراعي مشيت به .

الابتسامة تتسع اكثر على وجه المدير .

ـ هو .. اعتبر تصرفي اعتداء على شخصه . قدمني لمحاكمة عسكرية . سجنت ستة اشهر ، وفصلت من عملي.

المدير ينفث دخان غليونه بتلذذ :

ـ لكن وظيفة فراش بالنسبة لرئيس سجانين سابق..

الفرحة تلتمع في عيني الزاير :

ـ المهم يا سيدي ان اعيش .

٣

الخطة نجحت ، وها انت ـ اخيرا ـ اخذت برأي زوجتك :

ـ اياك ان تقول : « بعدما صفعني مدير السجن اعدت له الصفعة »

ـ وماذا اقول اذن ؟!
ـ قل لهم : « اسأت التصرف فضربني مدير السجن »
ـ كيف ؟!

ـ بدلا من ان تقول : « منعت مدير السجن عن ضرب حميدة حبا بحميدة » قل لهم : « منعته مخافة ان يقتله حميدة » .

مدير المصنع كان طيبا . استمع الى الرواية دون ان يشكك بصحتها . لكن « رئيس سجانين » تبقى اشبه بالقدر الذي يلاحقك .

السكرتيرة بهتت . فزعت .

ـ انت مـاذا ؟!

الملف يرتجف في يدها . لها حق . هي امرأة . وازاء فزعها أفلت لسانك :

ـ انا ضربت مدير السجن :

اللعبة كادت تنكشف لولا ..

ـ « عفوا » ... اقصد .. اسأت التصرف فضربني مدير السجن .

من يدري ؟! .. لعلها تذهب الى المدير :

ـ من هذا الرجل المفزع الذي ارسلته الي .. وظيفته السابقة رئيس سجانين ، ويقـــول : « انا ضربت مدير السجن » !!

ولو ان الامــر وقف عند هذا الحد لهان ، لكن الرجل المهندم الذي دخل الغرفة فجأة تبادل الهمس مع السكرتيرة. قالت له :

ـ الأمر لا يخلو من خيانة !.. أنظر الى هذا الملف !

واخذا يتصفحان اوراقي .

ـ الان ادركت سبب التعيين الاستثنائي !

وبعدما قالت لي :

ـ ابدأ عملك الآن !

قال لي الرجل بسخرية واحتقاد :

ـ خذ معك سلاحا !

يبدو انهما ـ لسبب ما ـ يكرهان المدير .

ـ احترس ! .. هو رئيس سجانين !



الزاير

اليوم الثالث



١

يومـــان ، واليوم هو الثالث . في اليوم الاول كانت الفرحة ، ومنذ الثاني شعور بالغربة .

لمــاذا هكذا ؟!

العمال . جميع العمال يتحاشونه .

ـ السلام عليكم .

بود متفتح يقولها لهم .

ـ اهــلا .

تصله اشبه بزمجرة ، فتموت ابتسامة التعارف على فمــه .

انا لم افعل شيئا يغضبهم !!

وفاطمة .. حتى فاطمة تتحاشى النظر اليه . عشرات المرات دخل غرفتها حاملا اليها او منهــا الاوراق وفي كــل مــرة ..

مرحبــا .

ـ ...

ولا مـرة ترد . هو يعزها . والله يعزها كثيرا .

ـ لم افعل شيئا يغضبها !!

لعل السبب يعود الى هذا ...

اللعين .. امين المخزن . منـــذ ان همس في اذنهـا وهي ....

وهي ... لكن كـــريم البصري بدأني بالتحية هـذا الصباح ! .. انا لا اثق بابتسامته ، وبالرغم فقـــد قال : ((صباح الخير)) لم ارد عليه ، ((كأني لم اسمع)) . فكيف سأذهب اليه الآن ؟ !

المدير قال له قبل قليــل :

ـ الاستاذ كريم يرغب بالتحدث اليك حـــول بعض الامور ... اذهب اليه حالا ، وخذ معك هذه .

ثم ناوله ورقة صغيرة مطوية .

٢

الزاير لا يطرق الباب . يدخـــل . يقف في منتصف الغرفة . دهشة منزعجة ترتسم على وجه كريم البصري .

ـ لماذا لا تقول : ((السلام عليكم)) ؟

ـ السلام عليكم .

لكنَ كريم البصري يقول بجفاء :

ـ ماذا تريد ؟!

الزاير يخطو الى امام . يدفع اليه بالورقة المطوية .

ـ ما هذا ؟!

يفتح الورقة يقرأ بهمهمة :

استاذ كريم ... بناء على الاتفاق الذي تم بيننا ارسل لك الزايـر

المدير

يمزق الورقة نتفا صغيرة . يبذل جهدا كي يبـــدو طبيعيـا .

ـ المفروض بك ان تحترمني !

ـ انا احترمك .

يمد كريم البصري يده الى علبة سجائره .

ـ وان تحبني !

ـ ....

ـ انا لا انكر بأني اغضبتك عندما قلت قبل يومين ونحن في غرفة السكرتيرة : « خذ معك سلاحا » لكني ما قصدت اهانتك هو مجرد تكتيك .

ـ تكتيك !!

انت لا تفهم هذا . المهم . انا مـا قصدت اهانتك . وصباح اليوم بالذات تباحثت مع السيد المدير حولموضوع زيادة مرتبك .. اجلس !

ـ لـماذا ؟

ـ كي نتحدث .

ـ قد يحتاجني السيد المدير !

ـ المدير هو الذي ارسلك لي .. اجلس !

الزاير يتردد . يتفحص الغرفة . يتجه ناحيـة اقرب كرسي . ثم يجلس بطرف عجيزته . كريم البصري :

ـ وظيفتك السابقة رئيس سجانين .. اليس كذلك ؟

ـ نعم سيدي .

كلمة « سيدي » تلطف من الجو اكثر .

ـ اتدري لماذا استخدمناك انت بالذات ؟

ـ ....

لأننا نثق بك .. نستطيع الاعتماد عليك .

ـ انا تحت امركم .

ـ ما دمنا متفقين على التعاون اذن .. يمكننا الدخول في الموضوع مباشرة .

ـ ....

ـ هناك امور تخريبية تحدث في الخفاء داخل المصنع. دعوة للاضراب .. هل سمعت بهذا ؟

ـ لا .

ـ هل عرفت باعتقال احمد عبدالله وجعفر علي ؟

ـ لا .

ـ أظنك تعرف كاظم عبيد ؟

ـ لا .

انزعاج صفير يصاحب صوت كريم البصري :

ـ كيف لا تعلم بكل هذه الاشياء وانت موجود داخل المصنع ؟!

ـ انا غريب .. وجديد على العمل .

تسود ثواني صمت . يتململ خلالها الزاير ، وكأنه يهم ينصرف .

ـ اسمع ... المفروض بنا انا وانت والسيد المدير ان نكون يدا واحدة .

ـ انا تحت امركم .

يضع كريم البصري عينيه في عيني الزاير .

ـ الذي اريده منك بالضبط . اختلط بالعمال ، والتقط منهم الاخبار. كل الاخبار التي تدور حول الاضراب، ووافني بها أولا بأول . أنت الرجل الوحيد الذي نستطيع الاعتماد عليه .

ـ ....

ـ وكن على حذر ، لا تكشف نفسك لأي مخلوق !
ـ ....
ـ الاخبار لي فقط ، ولا تشغل بال السيد المدير بأي خبـر .
ـ ....
يمد يده داخل جيبه . يخرج محفظته .
ـ خذ .. هذا الدينار لك .
ـ كيف ؟! .. ما هذا يا سيدي ؟! .. لا .. لا..
ـ هو مجر اكرام بسيط .
الزاير يقترب . يتناول الدينار .
ـ « زاد الله نعمتك »
ـ لا يغيب عن بالك .. الاخبار لي وحدي .
ـ وحدك .
ـ وان سألك المدير عن شيء . قل له : « لا اعرف . لم اسمع » مفهوم ؟
ـ مفهـوم .
ـ وابتعد قدر الامكان عن السكرتيرة ، هي تتعامل مع المضربين .
ـ مفهـوم .
الزاير يتحرك لينصرف ، لكن صـــوت كريم البصري يستوقفه هامســـا :
ـ هناك سر ايـــاك ان تصرح به لأحد .. السلطات تثق بي اكثر من ثقتها بالمدير .
ـ مفهـوم .

٣

وضع الدينار في جيب قميصه ، ولم تواته فكـرة ان يتحسسه ليطمئن عليـه . هو يكره « كريم البصري » .

ـ خذ معك سلاحـا .

ـ منذ لقائهما العابر في غرفة فاطمة وهو ينظر لكـريم البصري بتوجس حاقد . اما الآن ...

وقد اعطاني دينارا ..

ـ مجرد اكرام بسيط .

وتحدث الي بـود ..

ـ اجلس !

طالبا مني ...

ـ اختلط بالعمال . التقط منهم الاخبار .

اذن .. القضية خطرة .

هو يطلب مني ان اكون جاسوسا !

ـ انا والسيد المدير نثق بك .

لكنه مع فاطمة :

ـ خذ معك سلاحا .

وقتها فهم الزاير بأن كريم البصري وفاطمة يكرهان المدير .

ـ لا بد من وجود احد الخونة . الآن ادركت سبب التوظيف الاستثنائي .

.. احترس ! .. هو رئيس سجانين !

وبينهما :

ـ اياك ان تثق .. ابتعد قدر الامكان عن السكرتيرة . هي تتعامل مع المضربين .

الامور اختلطت على الزاير . احس نفسه عاجزا عن ايجاد تبرير لتصرفات كريم البصري .

ـ الاخبار لي وحدي . لا تزعج السيد ... السلطات تثق بي اكثر من ثقتها بالمدير .

لماذا انا بالذات ... اختلط بالعمال . التقط الاخبار ؟!

★ ★ ★

واذناه تلتقطان همسات العمال ، وهو في طريقه الى المقصف :

ـ انظر اليه ! .. هو رئيس سجانين !

ـ المدير عينه حارسا خاصا له !

ـ سيستعين به لضرب العمال .

ـ أنظر الى وجهه ! هو مجرم عريق !

وتكاد يد الزاير ترتفع الى وجهه تتحسسه . وتتملكه رغبة لأن يصرخ في وجوههم :

ـ انا مطرود من وظيفـة رئيس سجانين لأني ضربت مدير سجن ...

وفي مـرة .. يستجمع شجاعته . يقترب من عاملين يتهامسان .

كان بصدد :

ـ ...

لكنهما يسارعان بالابتعاد .

مـاذا افعل ؟!

القهر يتكدس داخل صدره . كريـم البصري أعطـاه دينـارا .

لو انه قال لكريم البصري : **لا ، ولا ، ولا ..**

لانتهى به الامـر الى الشارع ثانية .

لا سبيل امامه غير ...

ـ حميدة (١) .. يفهم في هذه الامور .

(١) حميدة ... هو الشخصية المحورية لروايـة « المستنقعات الضوئية » سجين محكوم بالاشغال الشاقة المؤبدة .

٤

اثناء تناوله طعام الغداء سألته زوجته :

ـ ما بك ؟

ـ لا شيء .. « تعبان فقط »

خشي أن يطلعها على ما يدور في رأسه فتثنيه عن الذهاب الى السجن لمقابلة حميدة .

ألفكرة بحد ذاتها « **جاسوس** » تكاد تخنقه .

طيلة حياته السابقة . من سجان الى رئيس سجانين الى سجين ، لم يقم بعمل لا يرضاه ربه . ياما عاشر مدراء سجون ، ومساجين مشاغبين ، قتلة ، لكنه ولا مرة وشى بأحد .

كان ـ دائما ـ يتصرف بوحي من مسؤوليته . وهو ـ ايضا ـ لا يريد ان يعود ـ ثانية ـ الى الشارع .

ـ سيدي انا صاحب عائلة . زوجة .. اطفال . بحاجة الى عمل اعتاش ...

وفي نفس الوقت لا يريد :
ـ اختلط ... النفط ...
والعمال ، هو لا يكرههم . بل يكره **كريم البصري .**
حميدة يفهم في هذه الامور .
وانا بالرغم من كل شيء رجل ...
اصلي اصوم .. وابني استشهد في سبيل الوطن ...
« ولا تجسسوا . ولا يغتب ... »

حميدة وحده يستطيع ان ...

★ ★ ★

كانت الساعة تقارب الرابعة مساء عندما خرج الزاير من بيته متوجها الى السجن .

اشترى فاكهة بنصف من دينار كريم البصري ، وعند البوابة الرئيسية استقبله مرؤوسه السابق عيسى بود .
« ايام العـز ! »
اخذه بالاحضان . وترقرقت دمعة صغيرة .

ـ اهلا برئيسنا ! كيف الحال ؟
ـ هل استطيع مقابلة حميدة ؟
ـ « طلبك في العين » .
وفي غرفة صغيرة يقسمها شبك حديدي الى نصفين .
ـ اهلا برئيسنا السابق !
حميدة وعلى فمه ابتسامة عريضة يمد يده من فتحة صغيرة في الشبك ويحتضن يد الزاير .
ـ ما هي اخبارك ؟
ـ ....
ـ الا ترغب بالعودة الينا ؟

الحزن الذي كان يطل من عيني الزاير يتضاعف وهو يهمهم :

ـ لن تتغيـر !

الاهتمام على وجه حميدة :

ـ انت حزين . مـاذا حدث ؟!

الحيرة . من اين يبدأ ؟!

ـ أنا ... أنا حصلت على عمل .

ـ عرفت .. وشكرا على الهدية التي اوصلها عيسى لـي .

ـ اشتريت الفاكهة بنقود رشوة اعطيت لي .

حميدة وهو يبتسم :

ـ منصبك خطير كما يبدو !

الحزن اكثر في عيني الزاير :

ـ انا فراش .. ارجوك لا تسخر مني !

ـ آسف ((ما كان قصدي !

يسود الصمت لفترة قصيرة .

الزاير : انا قادم اليك بامر هام .

ـ ....

وضع حميدة يده تحت ذقنه ، وطفق يستمع .

★ ★ ★

. . . .

. . . ثم اخذ يقرأ في الملف : ((الوظيفـة السابقة رئيس سجانين)) .. ((ملفـك ناقص .. تنقصـه شهادة عدم محكومية !)) فأعطيـه الورقـة التي لـدي .. ((انت سجان وسجين .. لمـاذا سجنت ؟)) ... ((أسأت التصرف فضربني مدير السجن)) .

حميدة يبتسم ، والزاير يبرر :

ـ لا مفر من الكذب . والا لما عينت . هو صدق كل الذي قلته لـه . « لكن وظيفـة فراش بالنسبـة لرئيس سجانين ! .. خذ ملفك الى السكرتيرة » اخذته اليها . هي دهشت . « انت ماذا ؟! » بدأت تتصفح الملف باهتمام عندما دخل امين المخزن .. كريم البصري ، وبدأ يهمس في اذنها . سمعتها تقول : « الامر لا يخلو من خيانة ! ... انظر الى هذا الملف ! .. الآن ادركت سبب التوظيف الاستثنائـي .. » وقبل خروجي قال كريم البصري بسخرية : « خذ معـك سلاحا ! » لكن فاطمة حذرته : « احترس ! .. هو رئيس سجانين ! »

حميدة يعقب :

ـ وظيفتك السابقة صارت شؤما عليك !

الزاير لا يستوعب ما قاله حميدة . الموضوع الذي في ذهنه يشغله تماما .

ـ الذي يحيرني هو موقف كريم البصري . وفي اليوم الأول أدركت بأنهما يكرهان المدير .

حميدة يعقب :

ـ ها انت تفهم بصورة جيدة .

الزاير لا يستوعب ما قاله حميدة .الموضوع الذي في ذهنه يشغله تماما .

ـ وصباح اليوم تغير الامر . ارسلني المدير بورقـة الى كريم البصري .

« المفروض بك ان تحترمني ... تحبني .. اجلس . استخدمناك لأننا نثق بك . هناك امـور تخريبية تحدث في

الخفاء داخل المصنع . دعوة مشبوهة للاضراب . هل علمت باعتقالٍ احمد عبدالله وجعفر علي . الاخبار لي وحدي ففط اختلط بالعمـالِ . التقط الاخبار . اذا سألك المدير فانت لم تسمع . السلطات تثق بي اكثر من ثقتها بالمدير . ابتعد عن فاطمة . هي تتعامل مع المضربين . خذ هذا الدينار . هـو اكرام بسيط .. »

اطلق الزاير زفرة ارتياح بعدما ألقى بكل الذي لديه، وطفق ينظر الى فم حميدة منتظرا .

ـ « معك سيجارة » ؟

ـ« سيجارة لف »

ـ « لا بأس . هات واحدة ! »

تناول حميدة السيجارة ، وسحب منها نفسا عميقا .

ـ « انت متورط »

ـ ...

ـ هم لم يعينوك الا من اجل الاستفادة منك . لا مفر امامك غير التجسس لصالحهم .

ـ وكريم البصري ؟!

ـ كريم البصري ... كريم البصري ...

حميدة يردد الاسم ، وكأنه يبحث داخل ذاكرته وفجأة:

ـ اسمه ليس غريبا علي . هو على ما اظـــن احـد الصحفيين الذين ينظرون للسلطة .

يسحب لصدره نفسا عميقا آخر ، ثم ينظر الى مـــا تبقى من السيجارة .

ـ « لف لي سيجارة ثانية » !

الزاير ينشغل باعداد السيجارة . بينما تشرد عينا حميدة في العقب الذي بين أصابعه .

ـ الآن تأكدت ... قبل سنة ... أيام كنت أنت رئيسنا ...

فيقاطعه الزاير :

ـ « وما دخلي أنا ؟! »

ـ « اششش »

يلوذ الآخر بالصمت .

ـ أيام مدير السجن السابق ، عندما كانت الصحف تدخل السجن .

ـ الصحف !.. السجن !.. لا أفهم ما تقول !!

ثم يدفع اليه بالسيجارة . حميدة يشعل الجديدة من عقب الأولى .

ـ بل هو من الصحفيين الذين ينظرون للسلطة ، ولا مانع لديه من التعامل مع الشيطان .

ـ لا أفهم ما تقول !

لكن حميدة ينفث الدخان ، ويعود ينظر الى عقب السيجارة .

ـ هل لديك الكثير من التبغ ؟

ـ لا .

ـ « لف لي سيجارة أخرى » !

الزاير ينشغل باعداد السيجارة ، وبعدما ينتهي ، لا يناولها لحميدة بل يضعها بين شفتيه .

ـ « نارك » !

فيناوله حميدة العقب دون ان ينظر اليه . كان يهمهم :

ـ في العمل كما في الصحافة .. هو يلعب على الحبلين .

ـ لا أفهم !!

عينا حميدة تعودان الى وجه الزاير .

ـ اين السيجارة ؟

ـ الآن .

ـ اسمع !.. المفروض بك أن تكون اذكى من كريم البصري .

ـ كيف ؟!

حميدة لا يجيب على تساؤل الزاير ويستطرد :

ـ ستذهب غدا الى المدير .

ـ المدير ؟!

ـ ثم الى فاطمة .

ـ لماذا ؟!

ـ اين السيجارة ؟

ـ ها هي .

يتناولها حميدة ، وعلى فمه ابتسامة مشجعة .

ـ لا اخفي عليك . وضعك خطير . لكن فاطمة ستوجهك .

ـ فاطمة لا تثق بي ... انا « رئيس سجانين » !

يصمت حميدة برهة .

ـ لك حق . هل معك قلم وورقة ؟

ـ من أين اجيء بها ؟!

ـ اذهب الى عيسى واطلبهما منه بسرعة .

ـ لماذا ؟!

ـ اسرع !.. لا وقت لدينا .

٥

غادر الزاير السجن . ومد يده هذه المرة الى جيب قميصه . هناك نصف دينار .

فاكهة للأولاد .

والى جانب النصف دينار تستقر الورقة التي كتبها حميدة .

ـ خذ هذه الرسالة الى فاطمة !.. ستفهم كل شيء ن طريقها .

ـ حميدة !.. أنت تحيرني !!

ـ هل معك سيجارة ؟

ـ معي ورق لف فقط .

فيبتسم حميدة .

ـ هل تثق بي ؟

ـ لهذا السبب جئتك .

ـ انت لن تفقد شيئا . لكنك ستكسب نفسك .

ـ لا أفهم !!

ـ ستكسب العمال .

أمور كثيرة لا زالت غائمة امام عيني الزاير ، لكن ثقته بحميدة دفعته لان يوسع من خطواته .

فاكهة للأولاد .

الزاير

اليوم الرابع

«١٢»



١

ـ يا سيدي المدير !.. أنت ولـي نعمتي ، وصاحب الفضل الأول والأخير في توظيفي . أنت أغرقتني بفيض مـن كرمك وطيبتك ، فكيف تسول لي نفسي أن أخدعك !!

ـ تخدعني ؟!

ـ يا سيدي المدير !.. انت ارسلتني بالامس الى أمين المخزن . أمين المخزن استقبلني بترحيب حـار . أجلسني . أعطاني سيجارة ، وبدأ يحاول استمالتي اليه .

ـ استمالتك اليه ؟!

ـ أعطاني دينارا .. «مصروف للأولاد» .. وقال لي: « اختلط بالعمال .. التقط الاخبار وزودني بها أولا بأول . اياك أن تزود المدير بأية معلومات » .

ـ ماذا ؟!

ـ واذا سألك المدير عن شيء فقل له : « لم اسمع . لا أدري » وابتعد قدر الامكان عن السكرتيرة .

ـ شكي كان في محله . كريم البصري لا زال مخلصا لمبدأه الهدام .
ـ قال لي : « السلطات تثق بي أكثر من ثقتها بالمدير»
ـ اذن .. هو يلعب معي لعبة مزدوجة !
ـ ثم أعطاني دينارا آخر ، وقال : « اذا جئتني بالمعلومات فسوف ... »

* * *

أحس الزاير بالاجهاد يسري في قدميه وساقيه ورقبته جراء وقفته الطويلة .

منذ أكثر من نصف ساعة وهو يقف وسط الغرفة ، ورأسه يتابع **السيد المدير** الذي كان يذرع الغرفة جيئة وذهابا . وجه المدير كان مسرحا لانفعالات شتى. الدهشة. الغضب . الفزع .

ـ شكي به في محله !

يتوقف يعض على غليونه .

ـ وثقتي بك في محلها .

يعاود المشي ، وهو يتمتم :

ـ خطة محكمة . يسحبون البساط من تحت قدمي دون ان اشعر . فأجد نفسي فجأة في الاضراب .. **« ارسل لي الزاير ، وسأحاول الاستفادة منه . سيزودنا بالمعلومات التي تنقصنا » .. ثم .. « واذا سالك المدير لم أسمع . لا أدري » ... اسمع !**

فيتحول الزاير الى آذان .

ـ سأحتاجك بضعة ايام . لحين انتهاء الأزمة .
ـ انا تحت أمرك يا سيدي .

يده الى جيبه .

ـ خذ هذه !

عشرة دنانير !!

ـ ما هذا يا سيدي !.. لا .. لا ..

ـ خذ ... مصاريف للأولاد .

ـ ((أطال الله عمرك يا سيدي)) .

يعود المدير يذرع الغرفة ، ثم يتوقف فجأة .

ـ هل معك سلاح ؟

٢

يلعن ابو حميدة !

افكاره الجهنمية هي التي قادتك الى هذه الورطة .

ـ اذهب الى المدير غدا ، واطلعه على تفاصيل اللقاء الذي تم بينك وبين كريم البصري .

ـ لماذا ؟!

ـ ستنكشف اللعبة الحقيرة التي يمارسها كريم البصري .

اللعبة انكشفت ، ولكن .. ماذا كانت النتيجة ؟!

ـ « معك سلاح » ؟

ـ لا يا سيدي .

ولا تجرؤ على قول :

ـ لماذا ؟!

ـ ثقتي بك كانت في محلها .

ثم يفتح درجا في مكتبه . بريق المسدس الفضي الجديد يخطف بصرك . وصوت المدير :

ـ احتفظ به ... هو محشو .
هل تجرؤ على قول : « **لماذا ؟** »
ـ نحن نمر بأيام عصيبة . يبدو أن مؤامرتهم هي من الأحكام بمكان . لكن المبادرة ما زالت في يدنا .
وتكاد لا تستوعب ما يقوله .
ـ ستبيت معي في بيتي اعتبارا من هذه الليلة .
ـ أنا ...
ـ مجرد أيام معدودة .
وتموت الكلمات في فمك أمام اشارة يده المسكتة .
ـ بضعة أيام !
ـ لو ان افكار حميدة أثمرت هذه العشرة دنانير فقط !.. لكنها تعدتها الى المسدس والمبيت في بيت المدير !!
ـ .... اعتبارا من هذه الليلة .
فيداخلك احساس أن تنفض يدك من كل شيء .
ـ يا سيدي .. خذ مسدسك ودنانيرك ، ودعني أذهب !
هل تجرؤ ؟!

★ ★ ★

ـ هل تثق بي ؟
ـ لهذا السبب جئتك .
ـ أنت لن تخسر شيئا ... بل ستكسب نفسك .
ـ لا أفهم !
ـ ستكسب المستقبل .
ـ كيف ؟!
وتبقى رسالة حميدة لفاطمة . يتحسس جيبه .
عشرة دنانير ..
ـ خذ هذه الرسالة لفاطمة ، وهي التي ستتولى ...

٣

كان عليه ان ينفرد بفاطمة .

ـ **خذ هذه الرسالة ... وستتولى ...**

قام بأكثر من عشر محاولات ، لكن جميــع محاولاتــه باءت بالفشل . يد المدير لا تكاد تفارق الجرس .

ـ **أنت تأخرت !.. أين كنت ؟!**

ـ **عند الباب .**

ـ **لا تبتعد عنه !**

ـ **حــاضر .**

ـ **خذ حذرك المسدس الذي معك محشو !**

ـ **حــاضر !**

ـ **لا تسمح لأحد بالدخول علي الا باذن مني !**

ـ **حــاضر !**

وعندما جاءت فاطمة .

ـ **لحظة من فضلك !**

انزعاج مندهش .

ـ لمـاذا ؟!

لسانه يكاد يضيع .

ـ هو قال : « لا تدخل اي واحدة الا باذن ! »

انزعاجها اشمئزاز .

ـ « المدير هو الذي طلبني !! »

هي لا تثق بك . **رئيس سجانين** . تكرهك . تحتقرك، وحميدة الذي لا يدري ...

ـ خذ هذه ... فاطمة ستوجهك ..

الرسالة في جيبه ، تلح عليه .

ماذا ساقول لها عندما ادفع لها الرسالة ؟!

ـ دعني ادخل !

لو رفضت استلام الـ ...

ـ دعني ادخل !.. الا تسمع ؟!

لا يرد . جسده لا يزال يحتجز الباب .

ـ هي التي ستتولى ...

ويدفع اليها بالرسالة .

ـ ما هذا ؟!

لسانه يضيع أكثر . عينـاه لا تقويـان على مصادمـة عينيها . يسارع بالدخول الى غرفة المدير .

ـ سيدي ... فاطمة بالباب .

ـ دعها تدخل .

يخـرج .

ـ تفضلي .

ـ ....

لا تسمعه بادىء الأمر . عيناها بالورقـة . واهتمـام فرح يتجدد على وجهها .

٤

ـ كن يقظا !.. تصبح على خير .

كانت الساعة حوالي الحادية عشرة ليلا عندما غادره المدير لينام . والتقطت أذناه صوت زوجة المدير وهي تهمس :

ـ لماذا يبيت لدينا ؟!

ـ « اششش » !

وزوجته أيضا تساءلت عصر اليوم :

ـ لماذا تنام في بيت ...

ـ من مطالب العمل .

وعجز عن اضافة تفسير آخر .

ـ كن يقظا !

لكن اجفانه تنشد الى بعضها . يومه كان مليئا . والتعب يأكل ساقيه .

تقدمت بي السن !

وهـذا الاحساس بالضيق . الفـراش غير فـراشه . والمكان . . .

دهليز بيت المدير !

ـ ستبيت معي في بيتي اعتبارا من هذه الليلة .

ـ أنا .. أنا ..

ـ مجرد أيام معدودة !

تحسس جيبه .

ـ خذ هذا المسدس . هو محشو .

المدير وزوجته ينامان . فاطمة كانت قد قالت له :

ـ لا مانع من مبيتك في بيت المدير .

كان الدوام قد شارف على الانتهاء عندمـا استطـاع الاختلاء بها . دخل غرفتها . فـاذا بعينيها ـ لأول مرة ـ تحتضنانه بود . أول سؤال بادرته به :

ـ هل خرج المدير ؟

ـ الآن .

اما السؤال الثاني :

ـ كيف عرفت حميدة ؟!

ـ « صاحبي » .

يطلقها ببساطة وعفوية تثيران اهتمام فاطمة .

ـ كنت رئيس سجانين في سجن حميدة .

وتتداعى في ذهنه كلمات حميدة :

ـ خذ هذه ... وستتولى هي ...

فيتوجه اليها :

ـ هل تعرفينه ؟

تبتسم .

ـ كنت أتابع كتاباته في الصحف منـذ أن كـان يكتب باسم جاسم صالح .

ثم تعقد حاجبيها .
ـ ولكن .. قل لي !.. لماذا تركت وظيفتك السابقة؟!
ـ ضربت مدير السجن .. فسجنت .. وطردت .
ـ ضربته !!.. لماذا ؟!
ـ اراد ان يضرب حميدة فضربته .
تضحك بسعادة منطلقة .
ـ حميدة يمتدحك .

ـ ...

ـ تصرفاتك هي التي شككتني بك !
يسود الصمت للحظات .
ـ قل لي !.. كيف اوقعت بين كريم البصري والمدير؟!

ـ حميدة اشار علي .

الآلات تبدأ تتوقف عن الضجيج . فاطمة تنظر الى ساعة معصمها .

ترفع عينيها الى الزاير :
حميدة يقول .. لديك الكثير من الكلام تقوله لي !
ـ طلب مني ان اقص عليك ما حدث معي خلال ايام توظيفي .
ـ وانا ايضا ساتحدث اليك . وربما يطول حديثنا .. ما رأيك لو تجيء الى بيتي بعد ساعة مثلا ؟
ـ لا اعرف مكان البيت !
يتبادلان نظرات لا تخلو من حيرة .
ـ هل تستطيع مرافقتي الان ؟
ـ استطيع .
في الباص اصرت على دفع ثمن التذاكر ، وفي البيت :
ـ السلام عليكم .

ـ وء ....

ثم ينبهت كاظم عبيد ولا يتم ، فتتولى فاطمة تعريفهما :

ـ كاظم عبيد .. الزاير ..

كاظم عبيد ما يزال مندهشا بفزع .

ـ أعرفه .. أعرفه .. رأيته عند باب غرفة المدير يوم .. يوم الاعتقال .. هو رئيس السجانين !!

فتضحك فاطمة .

ـ كان ... وليس الآن .. اجلسا !

★ ★ ★

الزاير يتحدث ، والآخران ـ كاظم عبيد وفاطمة ـ يكتشفان ، ويقيمان علاقات منطقية .

ـ برغم سنوات السجن بقيت عقلية حميدة نفاذة مدهشة !

علقت فاطمة بعدما انتهى الزاير من رواية تفاصيل المقابلة التي تمت في السجن .

★ ★ ★

ـ كريم البصري نال الجزاء العادل الذي يستحقه !

علق كاظم عبيد بعدما انتهت فاطمة من رواية تفاصيل المقابلة التي تمت بينها وبين المدير ظهر اليوم .

★ ★ ★

ـ خذ هذه الورقة ، وأعطها للمدير غدا ..

ـ سيجن جنونه !

ترفع يدها في وجه كاظم عبيد طالبة منه أن يصمت ، وتستطرد :

ـ سيسألك المدير : « من اين جئت بها ؟! » فتجيبه: « وجدتها ملقاة على الأرض ، بين الآلات » .

★ ★ ★

ـ الآن ستنفذ خطتي بنجاح مضمون تماما .

علق كاظم عبيد باكتشاف فرح بعدما قال الزاير :

ـ وسأنام في بيت المدير اعتبارا من هذه الليلة .

لكن فاطمة :

ـ أية خطة ؟!

ـ السرقة .

ـ اية سرقة ؟!!

يبتسم كاظم عبيد :

ـ لك الحق .. أنا لم أطلعك على ما يدور في ذهني .

ـ ارفع هذه الفكرة من رأسك !.. ارفعها بالمرة !

قالت فاطمة باصرار آمر ، معقبة على ما اقترحه كاظم عبيد ، وأضاف الزاير :

ـ أرجوك « أخ كاظم » !.. لا تحرج موقفي مع المدير !!

ـ هو يسرقنا ، فعلام لا نسرقه ؟!.. خطتي تدخل ضمن التكتيك الذي يهدف الى تقوية مركزنا . سيفاجأ بسرقة بيته . ستشل قدرته على التفكير ... سيتهم كريم البصري ... وستعود عوائد العملية على ...

لكن فاطمة ـ ثانية ـ ترفع يدها في وجهه :

ـ كاظم !.. لا تقدم على أية خطوة فردية تعـود على حركة الاضراب بالضرر !!

★ ★ ★

وعندما مد الزاير ساقيه على طولهما أحس ببـرودة البلاط في كعبيه .

فراشهم قصير !

كاظم عبيد

اليوم الرابع / الخامس

«١٣»

١

كم سنة مرت منذ أن تركت السرقة ؟.. ولماذا أفكـر باحترافها ثانية ؟!.. في الماضي كنت أسرق من أجل ..

ان أأكل .

ذلك هو التبرير الذي لم توافقني عليه زوجتي ، والآن لماذا أريد ..
أسرق ؟!

من أجل الاضراب .
والجرأة التي بحثت عنها كثيراً .
ـ ارفع هذه الفكرة من رأسك !
ـ ....
ـ لا تقدم على اية خطوة فردية ..
ما أدراها ؟!.. ومن أدراها ؟!. هي لا تعلم بما قالـه احمد عبدالله قبل اعتقاله بيوم :
ـ لعلنا نحتاج الى مال بعد تنفيذ الاضراب . قـد لا يجد بعض العمال المضربين ما يأكلونه !

ولم يدر في ذهنها :

ـ قد لا تجد عوائـل العمـال المعتقلين والفادين مـا تأكلـه .

لو ان الوقت ، والفرصة سنحت لي بطرح الفكرة على احمد عبدالله لما وجدت فاطمة الجرأة على :

ـ لا تقدم على ...

المكسب الشخصي ...

فكرة لم تراودني مطلقا . كل الذي أهدف اليه ...

أن أضع نفسي وخبراتي في خدمة القضية .

كنت أتوقع :

ـ عظيم يا كاظم !!. عظيم !!

وتهم تهرع الي تشد على يدي . ما كنت أتوقع :

ـ ارفع ... بالمرة !

ـ ارجوك « أخ كاظم » .. لا ..

قلت لهما :

ـ ما دام يسرقنا فعلام لا نسرقه ؟!

ـ تبرير ضعيف .

ـ خطتي هي من ضمن التكتيك الذي يهدف الى ...

ـ لا تقدم على ...

لذت وقتها بصمت قاهر امتد الى ما بعد ذهاب الزاير . كنت حزينا مقهورا ، وأحساس :

أنا مظلوم .

يتملكني .

هي لم تفهم وجهة نظري !! هي لم تمنحني الفرصـة لـ ....

★ ★ ★

تجيء وتروح . تروح وتجيء . تأتي بطعام العشاء . ترفع آنية الطعام . تتوجه الي :

ـ أنت لم تأكل !!

ـ ليست بي رغبة .

ـ ما رأيك بقدح شاي ؟

ـ لا .. شكرا .

تتحدث بصورة جد طبيعية ، وكأن شيئا لم يكن . اتنسى بهذه السرعة :

ـ لا تقدم على ...

أو انها تناست :

ـ ارفع هذه الفكرة من ...

أم اعتبرت قضيتنا منتهية بكل بساطة قرارها النسائي الذي لا يعرف روح الثورية البروليتارية ؟!

ـ ما رأيك .. بقهوة ؟

ـ لا ... شكرا .

وبالرغم .. تجيء بشاي . تجلس قبالتي . عيناها ـ دون قرارها السابق ـ حنان ودود وألفة محببة .

أحسها أما حلوة . لا أجد الجرأة على رفض قدح الشاي .

ـ اشرب !

ـ ...

ـ أنت لست طبيعيا !

صوتها أمومة مثارة .

أتنسى بهذه السرعة ؟!

واحس حاجة لأن افتح لها قلبي . القي بالامي بين يديها الحلوتين .

ـ انت لست طبيعيا !.. ما بك ؟!

انظر الى وجهها . امكانية التفاهم ترسم ابعادا مضيئة في عينيها .

٢

القرار انت اتخذته . الوقـــت ــ الآن ــ هــو منتصف الليل . بعد ساعة فقط ستخرج لتنفذ .

حوارك الذي بدأ مع فاطمة اخويا متفاهما :

ــ انت لست طبيعيا !.. ما بك ؟!

انتهى الى موقف جدي دفعها لمغادرة الغرفة دون :

ــ تصبح على خير .

عقليتها ضيقة . حاولت اقناعها . قلت لها :

ــ طرحي لفكرة سرقة بيت المدير ما كان وليد قــرار اعتباطي . وانما نتج عن دراسة علمية موضوعية .

ــ ...

ــ الغرض من حديثي هذا هو توصيل مفهومي لعملية السرقة .

ــ ...

ــ عوائد العملية ستعود على عوائل العمال المعتقلين .

ــ ...

ـ عصفورين بحجر واحد . ارباك المدير . توجيه الانظار ناحية السرقة . اشغالهم عن مراقبة سير عملية الاضراب . توفير المال الضروري لـ ..

ـ ....

ـ حربنا هي حرب طبقية طاحنة . ولا بـد لنا مـن الاستعانة بجميع انواع اسلحتنا . كاسترو كان يسرق من الاقطاعيين والرأسماليين من اجل توفير الـ ...

ـ ....

ـ خذي مثلا . المنظمات اليسارية في اميركا اللاتينية. الخطف .

الفدية . مهاجمة البنوك .

ـ ....

ـ لماذا مشروعي انا ـ برأيك ـ هو الـذي لن يضيف شيئا ؟!

ـ ....

ـ كنت بصدد طرح الفكرة على احمد عبدالله . كنـت واثقا من موافقته ، لكن اعتقاله المفاجيء ...

★ ★ ★

المفروض بمثل هذا الحوار العلمي ان ينتهي الى اتفاق متكامل . فماذا انتج ؟

ـ ستدخلنا حربا جانبية نحن في غنى عنها .

ـ ....

ـ الاضرار أكثر من الفوائد . واحتمال كبير ان يضيع الزاير وسط هذه العملية !

ـ ....

ـ « صحيح » احمد قال : « قد نضطر الى جمع بعض التبرعات .. ولم يقل : « قد نضطر الى بعض السرقات » !

ـ ....

ـ انا واثقة من لا جدوى العملية .

ـ ....

ـ انت لست كاسترو . ظروف الثورة في كوبا تختلف عن ظروف اضرابنا .

ـ ....

ـ ما دمت مصرا فالافضل اخذ رأي احمد عبدالله بالموضوع .

قلت لها :

ـ احمد معتقل فكيف ...

لكنها قاطعتني :

ـ « لا تخف » .. لن نعدم وسيلة للأتصال به .

ثم غادرتني غاضبة دون ان :

ـ تصبح على خير .

★ ★ ★

بالرغم من كل شيء فهي تملك الحق ، وانا لا املك الحجة . لو كنت عضوا في الحزب لما كلمتني بهذا الاسلوب!!

القصيدة التي تسببت في سجني ، والبرآءة التي تسببت في اطلاق سراحي ، والصفة التي لازمتني ..

ـ التنظيم الحزبي المحظور ...

ـ لكن براءتي ثبتت !!

ـ انت مفصول من العمل .

ـ .. براءتي ثبتت !.. اعلنت ذلك في احدى الصحف

ـ لا جواز سفر . انت ممنوع عن السفر . التنظيم الحزبي المحظور .

ـ .. .. ثبتت . اعلنت .. ... احدى الصحف

سافرت الى الكويت سيرا على الاقدام . عدت . والصفة لا زالت تلازمني . ثم احترفت السرقة . وما كنت اسرق الا بيوت ضباط الشرطة ...

في المصنع عرفت احمد عبدالله . احببت أحمد عبدالله وثقت به . وفي جلسة اخوية رويت له كل شيء . كل شيء حتى البراءة . ابتسم . وضع يده على كتفي .

ـ الافضل الا تفتخر بممارستك للسرقة .

ـ سرقت بيوت ضباط الشرطة فقط .

ـ « وان كان » . الثوري الحقيقي لا يلجأ الى السرقة الثوريون المنحرفون هم الذين .. او بالاحرى .. الارهابيون

ـ لكني تركت السرقة منذ مدة طويلة !

ـ هذا افضل .

مع الايام عرفت احمد عبدالله اكثر . قلت له :

ـ ارغب بالتعاون معكم !

ـ اهلا بك ، وبكل العمال الطيبين .

ـ وارغب ان اكون منكم !

ـ ....

ـ ما كنت حزبيا عندما قدمت براءة !.. فهل ستقبلوني في صفوفكم ؟

ـ لا أدري .. وانا مجرد عامل مثلك .

لهجته ليست رفضا . هي اشبه بتشجيع .

ـ لا تقدم على اية خطوة فردية دون ..

لهجته غضب آمر . كان ذلك في صبيحة يوم اعتقاله .

ـ لا نستطيع ان نثق بكل انسان .

وارد ف :

ـ من الذي طلب اليك الاتصال بكريم البصري ؟!.

الاقتراح بتعاون كريم البصري اضاع فرصة طــرح اقتراح :

ـ سأقوم بسرقة بيت المدير .

في الماضي قال :

ـ ... الثوري الحقيقي لا يلجأ الى السرقة .

انا اوافقه على رأيه ما دامت السرقة بجميع عوائدهــا ستعود على السارق ، ولمصلحته الشخصية بالذات .

اما الآن :

ـ الغرض هو توفيــر المال لمساعــدة عوائــل العمــال المعتقلين .

احمد عبدالله لن يرفض مشروعي . محال ان يرفضه انا اعمل لصالح العمال . وهذه « الفاطمة » ...

ـ وهل انت كاسترو ....

الاخرون .. لماذا يرفضون يفهمون ؟!

ـ الافضل اخذ رأي احمد عبدالله .

الا تفهم بأن مشروعي هو محاولة للانتقام من جــلادي احمد عبدالله ؟!

ـ الاضرار ستكون اكثر من الفوائد .

ما دمت انا الذي ساغامر فأنى للاضرار ان تكون اكثر من الفوائد ؟!

لماذا يهمها امر المدير الى هذا الحد ؟! .. ولماذا كل هذا الخوف على الزاير ؟!

لو كنت حزبيا !!.. لو كنت حزبيا فقط لعرفت كيف أخرسها !!

هذه البراءة اللعينة هي السبب !.. لولاها لما قال احمد عبدالله :

ـ لا ادري .

لكن مشروعي هذا سيمحي عار البراءة .

وهذه « الفاطمة » ...

اليس الاحرى بها ...

ـ فكرة عظيمة يا كاظم !.. ضربة قاضية للمدير !

ساعتها سيختلف موقف الزاير . لعله يقول :

ـ تعال هذه الليلة وستجدني بانتظارك وراء الباب . ساساعدك على السرقة . وعندما ننتهي منها قيدني تقييدا محكما ، واتركني ملقى على الارض كي ابدو وكأنني ضحية هجوم عصابة من اللصوص ..

ما اروع لو تم الاتفاق على هذا الشكل !!

٣

الظلام . الهدوء . وفتح كاظم عبيد عينيه على سعتهما لم ير السقف ، ولا المروحة . الساعة ...

اظنها قاربت الواحدة .

تملكه احساس منعش بحرية مفاجئة .

القرار .

سحابات فرح طفولي تزدحم في صدره

الى العمـل .

استوى جالسـا .

هي تنام .

ـ الافضل اخذ رأي احمد عبدالله .

احتجاج صغير .

اذن ... الانتظار ـ برأيها ـ ضروري !

ركز عينيه باتجاه باب الغرفة ، وقليلا قليلا بدأت خطوط الباب تظهر لعينيه . لم يبحث عن حذائه .

★ ★ ★

فتح الباب بهدوء .
ايام زمان !.
برودة الاسفلت في قدميه الحافيتين .
من ضرورات العمل .
ورطوبة الهواء منعشة داخل رئتيه .
سأعود مع الساعة الثالثة على الاكثر .
اطبق الباب ــ بهدوء ايضا ــ دون أن يقفله .
في الماضي ضباط شرطة . وفي الحاضر ..
ثم انطلق مسرعا ، معتمداً ظلال الجدران . الطرقات خالية تماما ، والصمت يكاد يكون شاملا ، عدا نباح كلاب ، وصفارات حرس تأتي اليه عبر صدى بعيد .

★ ★ ★

في الماضي الحبل كي اتسلق الجدران . اما بالنسبة لبيت المدير ...
سور حديقة منزله سهل التسور. الزاير يبيت هناك.
ــ ارجوك « اخ كاظم » ...
سيرى من هو كاظم عبيد ..
ــ وهل انت كاسترو ؟!
حدد نظره الى امام .
اكثر من عشرين عملية سرقة ، ولا مرة ارتكبت خطأ اوقعني في ايدي الـ ...
مسدس المدير جديد . هو مع الزاير . ولا بد للثوري ان يتزود بسلاح .. فمن يدري ؟!

★ ★ ★

كان قد وصل الى أول مفترق طرق . وقف. تلصص. احد الحراس يجلس القرفصاء على الرصيف غير بعيد عنه .

ما الذي جاء بهذا الحمار هنا ؟!
التصق بالجدار كاتما انفاسه .
الا يكفي الحمار الذي يبيت في بيت المدير ؟!
صوت صفارة يتردد في البعيد .
اللصوص يعرفون لغة الصفارات . هيا يا صاحبي .. هيـا ..
الحارس يتململ . يتحرك . يرفع يده الى فمه . صوت الصفارة اشبه بضحكة مصدور . الحارس يقف .
هيا .. لا وقت لدي !
الحارس يمشي . كاظم عبيد يتابعه بنظره قبل اجتيازه للشارع .

ربع ساعة مر . هل سأستطيع العودة قبل الثالثة ؟!
احتاج ربع ساعة آخر كي أصل بيت المـدير ، أما اذا اعترض طريقي احد الحراس ..
كاظم عبيد هارب . السلطة تبحث عن ..

انا هارب اداهم بيت مدير الـ ...

مسدس الزاير ...

ـ ارجوك ((...)) موقفي ...

ـ .... كاسترو ؟!
الطريق يمتد امامه مستقيما . عليه ان يكون اكثر حذرا بدأ يتستر بظلال الاشجار .
سور الحديقة واطيء . تجاوزه سهل . الزاير هناك .

انا لم ادرس موقع المنزل . مرة واحدة رأيته . مرة .. من وراء سور الحديقة ..

ماذا لو اني تخطيت السور ثم لم ..
او ان الزاير المسدس ..

٤

انا غبي وحمار!.. لا أدري كيف اقتنعت باني سأوفق لدخول المنزل ؟!

رفع رأسه الى أعلى . تطلع الى النوافذ .

كيف اكتفيت برؤية عابرة للمنزل ؟!

((ما دام المنزل محاطا بحديقة فسأوفق لاقتحامه)) .

هذا ما دار في ذهني قبل البدء ، وها أنا منذ ربع ساعة أدور الحديقة دون جدوى !

كان قد أتم الدورة الثالثة ، فوقف في ظل شجرة .

لو ان هذه الشجرة اقرب بمتر واحد لاستعنت بفروعها !..

لو ان مواسير المياه ظاهرة للعين !.. مثبتة على الجدار .. لاستطعت تسلقها !

وأخيرا ..

ـ لو اني اصطحبت حبلا !

سطح بيت فاطمة بحبل غسيل . لماذا لم افكر باستعارته؟!
وفاطمة :
ـ .... كاسترو ؟!
أما كان الأجدر بها :
ـ مشروعك هذا خطوة ثورية جبّارة ، وجريئة ، وسيدفع الحركة الى أمام خطوات .
موقفها ـ حتما ـ سيؤدي بالزاير الى :

ـ سأساعدك على سرقة بيت المدير . تعال فتجدني بانتظارك خلف الباب .

لكن **موقفها السلبي دفعني ...**
القى نظرة أخيرة مليئة بالأسف على المنزل .
حتى الحذاء تركته هناك !
اتجه صوب السور .
كنت واثقا .
أفلت زفرة من صدره .
لا بأس .. سأعود ومعي الحبل .
الساعة مع الثانية والطريق تمتد أمامه .
موقفها الجدي المتعسف دفعني للتسرع !
وهذا الاحساس بالفشل لا يريد الانزياح عن صدره .
الظروف !.. والا لما تحكمت بي امرأة !

منذ ليال وانا ... رجل يبيت في بيت امرأة ، وامرأة جميلة بالذات !!

الدماء تدفق حارة في جسده .

وزوجتي التي ...

النقمة في فمه .

الأحداث كادت تأخذني منها . تشغلني عنها . لعلهـا جُنّت قلقا عليّ !!

انحسرت النقمة عندما داهمته فكرة مفاجئة :

علام لا أذهب اليها الآن ؟!.. بيتي غير بعيد عن هنا !

يكاد يعقد حاجبيه .

أخشى أن يكون بيتي مُراقبا !

٥٠

النوم يجافيك . نور الفجر بدأ يتسلل عبر ستـــارة النافـذة .

ولا سجاير !

فاطمة منذ اكثر مـــن ساعة ذهبت تنام . اللقاء غـير المتوقع الذي حدث بينكما زعزع كل كيانك .

الاحداث باجمعها كانت مثيرة ، مقلقة ، مخيفة ، فمـن فشل ذريع مني به مشروعك .

سأنفذ العمليـة واعود مع الساعة الثالثة .

ألـى ...

ساعود وبصحبتي الحبل .

العمليـة لم .

اشجار الحديقة ليست بقـرب كاف من جـدران المنزل ، ومواسير المياه اختفت !

وبالاضافة .. فانت لم تعد مع الثالثة .

علام لا اذهب الى زوجتي ؟! .. في الوقت متسع ، وبيتي غير بعيـد عن هنا !

وحالما وصلت الى هناك افرحك عـدم وجود مـن يراقب البيت . سلسلة المفاتيح . الباب ، ورائحة بيتك .

ستفاجأ ... عليّ بالحذر ، والا فزعت !

الظلام ، الصمت المطبق ، وهي ...

الليل ، وانفاسها ..

ـ من ؟! .. انت ؟!

لم تفزع ، لكنها فوجئت .

ـ ما الذي جاء بك ؟!

النعاس ، ورائحة النوم .

ـ اين كنت ؟!

اضطجعت الى جانبها .

ـ ومن هي فاطمة ؟!

اخذتها اليك .

ـ كم الساعة الان ؟!

ـ ....

ـ لماذا الآن ؟!

* * *

ـ اسرع .. رجال الشرطة جاءوا عدة مرات يسألون عنـك !

ـ ...

ـ انت تؤلمني !

ـ ...

ـ هم افزعوني ... ولم يضربوني .

ـ ...

ـ متى تعود الى البيت ؟!

ـ ...

ـ انت انتهيت بسرعة !!

★★★

وبالرغم فقد انفقت زوجتك اكثر من نصف ساعة بالبحث عن حذائك **المطاطي .**

ـ نبحث عنه في النهار !

كان ضائعا بين المهملات .

ـ انت تركت السرقة .. فلماذا تعود اليه ؟!

ـ ...

ـ اياك والعودة اليها يا كاظم !!

ـ ...

الشك في عينيها :

ـ اخشى الا تكون قادما من اجلي فقط !!

ـ جئتك حافيا ، فهل اعود حافيا ؟!

خطة الليلة القادمة ، ومقوماتها الحذاء المطاطي ، وحبل غسيل فاطمة .

ـ متى تعود اليّ ؟!

وما كان طريق العودة الى بيت فاطمة بعقبات تذكر .

★★★

كيف حدث هذا ؟!

صرخة دهشة تردد صداها في داخله . هو متأكد بان الباب لا يزال ـ كما تركه ـ مواربا .

من اقفله ؟!

بقيت يده مشلولة في الهواء لثوان .
لا .. لا يمكن !!
كان رافضا لفكرة انغلاق الباب . بحث بعينيه عن ايما شق ينظر من خلاله .
غير معقول !!
النور في الداخل .
فاطمة عرفت بخروجي ! !
جمع اصابعه ، وطرق الباب . لم يأته من الداخل صوت :

ـ من بالباب ؟

لان الباب فتح ، وظل جسد فاطمة يسد عليه طريق دخول .
ـ هل وفقت ؟
كاظم عبيد يتصنع الدهشة :

ـ في ماذا ؟!

ـ وتتظاهر بالغباء ؟!
ـ لا افهم !!
ألغضب في صوتها :
ـ هل نجحت خطتك ؟
ـ اية خطة ؟!
تكاد « تصفق » الباب في وجهه .
ـ خطة .. سرقة .. بيت .. مدير .. المصنع ؟
البراءة في صوته :
ـ انا لم اذهب كي اسرق .
ـ ماذا ؟!
فيقول بأمانة :

ـ اظننا اتفقنـا على استشارة احمد عبدالله !

تتململ في وقفتها :

ـ وهل التزمت بالاتفاق ؟

الامانة تصل حد الحزن ويصدق كاظم عبيد صوته :

ـ « طبعـا »

تتململ في وقفتها اكثر .

ـ اين كنت اذن ؟!

التردد . الحياء على وجهه :

ـ ذهبت .. الى .. الى بيتي ..

تكاد لا تصدق :

ـ الى بيتك ؟!!

ـ كي اطمئن على .. على زوجتي .

ـ ....

ـ منذ ايام وانا لم ارها .

التماع لذيذ في عينيها . تفسح له طريق الدخول .

ـ انـا آسفة !!

تزداد ابتسامتها اتساعا :

ـ ترصدتك . كان لدي يقين غريب ، واقتناع تـام بانك ستخرج هذه الليلة لتسرق بيت المدير !

ترافقه حتى باب الغرفة .

ـوما الذي دفعك لارتكاب هذه المخاطرة ؟! ... لو انك كلفتني ....

فيقاطعها :

ـ اردت رؤيتها .

لا ترد مباشرة . التماع مثار يتجسد في عينيها .

ـ تصبح على خير .

كريم البصري

اليوم الخامس



١

كان الصباح رائقا ، والرياح الشمالية تهب سلسة مشبعة بنداوة الربيع عندما وصـــل كريم البصري الـــى المصنع .

القى نظرة خاطفة على ساعته .

الثامنة الا خمس دقائق ، المـدير لم يصـــل بعد . سيارته ليست ...

الصخب . الاروقة ، ووقع الحذاء .

الامـور حتى الآن تسير سيرا حسنا .. فقط لـو كنت اعرف مكان اختفاء كاظم عبيد !! ... قبل ايام ...

ابتسامة عريضة ترتسم على فمه .

الخمر ! .. لعنة الله عليها ! .. وذهبت اليه ..

ـ صدر امر اعتقالكم ، انت واحمد ...

وغاب عن ذهني :

ـ في حالة هربك اتصل بي على هذا العنوان .

لو اني اعطيته عنواني . شجعتـه على الاتصال بي ، لاستطعت ـ معه ـ عمل الكثير . هو يثق بي ، امـا ...

الابتسامة تزايل فمه .

وفاطمة ... لا ادري علام تنفر مني ؟! ... منـذ .. الخمر ! .. لعنة الله عليها ! .. وهي تزداد نفورا مني!!

يكاد يفلت ضحكة قصيرة .

منذ ان :

ـ يجب ... حدا ... العزوبية ..

يعقد حاجبيـه .

لكنها أيضا :

ـ احمد اعطاني ورقة .

تلكأ في سيره . الزاير يرابط عند باب غرفة المدير .

ـ صباح الخير .

ـ صباح الخـير .

يزعجه عدم نهوض الزاير لاستقباله ، ويكاد يستغني عن سؤاله :

ـ ما هي آخر الاخبار ؟

ـ لم اسمع شيئا .

النقمة تتجمع في صدره . لهجـة الزاير لا تحمـل الاحترام اللازم .

لاحتمله ما دمت محتاجا اليه . حقير !! .. هل نسي الدينار بهذهالسرعة ؟!

يتابع سيره .

انا صاحب فكرة :

« نستطيع الاستفادة من الزاير ... »

قلت هذا بعد الحوار الذي دار بيني وبين المدير قبل يومين . كان قد ارسل علي .

ـ اجلس استاذ كريم .. اجلس !
جلست . وضع غليونه في فمه .
ـ قضية هرب كاظم عبيد تشغل ذهني . لن نقضي على الداء الا بعد اعتقالنا له .
ينفث دخانا يكاد يملأ الغرفة ، ثم يستطرد بلهجة عاتبة :
ـ وانت ايضا يا استاذ كريم تكاسلت !
ـ تكاسلت ؟!
ـ لم تزودنا بالقائمة الجديدة لاسماء العمال المحرضين على الاضراب !
ـ وهل تظنني اعرف فاتفاعس ؟!
يتجاهل سماع كلامي . يقول :
ـ خلال ايام قليلة سيصل رد الكتاب الذي وجهته الى المديرية العامة .
ـ ...
ـ استعد لاستلام مهام منصبك الجديد .
مع المدير استطيع السير حتىآخر الخط .. « مساعد مدير » وفي نفس الوقت سيلعب الدينار الذي اعطيته للزاير دوره .
اما عن طبيعة علاقتي بفاطمة ...
يقف . كان قد وصل باب غرفته . يمد يده الى المقبض .
لم يفتح بعد !!
يعود يعالج المقبض دون جدوى .
اغبياء ! .. كيف يهملون فتح باب غرفتي ؟!
يتلفت حواليه . الزاير على البعد يجلس ملتصقا بالجدار .

٢

أحس مهانة دبقة وهو يقف امام الزاير .

ـ باب غرفتي مقفل . ابحث عن المفتاح . وافتحه لي .

الزآير لا ينظر اليه . هو مشغول باعداد سيجارة « لف » ومن بين اصابعه يهمهم :

ـ انا اقفلت باب غرفتك .

دهشة منزعجة :

ـ انت اقفلته !! .. لماذا ؟!

ـ المدير امرني .

ـ المدير لم يات بعد ... فمتى امرك ؟!

من بين اصابعه آيضا :

ـ صباح اليوم .

ـ صباح اليوم ؟! .. هو لم يات بعد !!

الزاير وهو يضع السيجارة بين شفتيه .

ـ كنت معه في منزله . بت معه في منزله .

ـ هكذا !

قالها كريم البصري بلهجة متفهمة ، وبالرغم فهو لم يفهم شيئا .

ـ ولماذا امرك المدير باقفال الباب ؟

ـ لا اعــرف .

كريم البصري لا يزال مبهوتا ، متسمرا امام الزاير الذي استطرد :

ـ قال لي : «اقفل الباب ، وضع المفتاح لدى فاطمة»

هكــذا !!

قالها بفهم مستوعب ، وبالرغم فهو حائر لا يعي مــا يحدث .

قال له : « اقفل الباب ، وضع المفتاح .. »

قال له : « اقفل الباب ، وضع ... »

قال له : « اقفل الباب ... »

والارض لا تكاد تستقر تحت قدميه .

قال له : « اقفل ... »

وصل غرفة فاطمة ، لم ينس ان يطرق الباب .

ـ ادخل .

صوتها من الداخل طبيعيا جدا ، وأحس بجلدة وجهه تنشد .

هل تعرف السبب ؟

والمدير ... اتخذ خطوة معينة أم لا ؟

دخل . لم ينس

ـ صباح الخير .

ـ صباح الخير .

خيل اليه .

صوتها مشوب بنوع معين من الفهم .

فهم خاص لم يسبر أغواره مباشرة .

ـ المدير أمر الفرّاش باقفال باب غرفتي .

وسقطت نظراته على المفتاح الذي يستقر على طـرف مكتبهـا .

ـ نعم .. وقد جاءني الزاير بالمفتاح قبل دقائق .

ـ الاتعرفين السبب ؟

ـ بلى ... المدير اصدر امرا بفصلك من العمل .

جسده ـ باجمعه ـ ينتفض . حاجباه . عينـاه . وجهه . واحس بالخدر يتنمل في ساقيـه .

خطا الى وراء خطوتـين ، واسقـط جسـده على الكرسي . وبرغم الوهن الذي استبد بـه فجأة كان ذهنـه يعمل بصورة غريبة ، ويستبق الاسئلة . فهو لم يقل :

ـ لمـاذا ؟

لكنـه تساءل :

ـ متـى ؟!

ـ امس .

ـ امس كنت معه !!

« ـ لم تزودنا بالقائمة الجديدة لاسمـاء العمـال المحرضين على الاضراب ! »

« ـ خلال الأيام القليلة القادمـة سيصل رد الكتـاب الذي وجهته الى المديرية العامة .. »

« ـ استعد ... مهام ... مساعد .. »

وصوت فاطمة الموضح :

ـ امس . قبل نهاية الدوام بساعة ارسل بطلبي ... حرري قرارا بفصل ... »

ـ لكن احدا لم يخبرني امس !!

ـ اراد مفاجأتك .

يحس نفسه غريبا .

رئيس السجانين هو السبب !!

ومنبوذا .

رئيس السجانين هو ...

فاطمة تشغل نفسها باوراق امامها . تداهمه رغبة مفاجئة لان ينفرد بنفسه .

الانسحاب افضل .

يسحب لصدره شهيقا عميقا . ينتبه . لا يفلته بقوة . ينهض . يقترب من فاطمة . يمد يده .

ـ مع السلامة .

تنظر الى اليد الممدودة اليها . كفه مفتوحة تنتظر . تمد يدها اليه .

ـ مع السلامة .

صوتها يصله حزينا لاول مرة ، ومفتاح غرفته يرقد على المكتب غير بعيد عن متناول يده .

٣

(الساعة السادسة مساء)

بار حقير ، وعرق رخيص !

خطا الى الداخل . المكان خال من الرواد .

عادة .. يفدون بعد السابعة .

النادل يبتسم . يقف .

ـ اهلا وسهلا .

كريم البصري لا يرد تحية النادل . لا يتفحص المكان ، يتوجه ناحية ركنه المنزوي .

ـ نعم استاذ !

النادل بالقرب منه .

ـ « ربع عرق »

ـ حاضر .

النادل يبتعد .

الارض التي اقف عليها رمال متحركة. حركة واحدة، فاغوص الى القرار !

لم يتوقف عن «الف» سيجارته :

ـ انا اقفلت باب غرفتك . المدير امرني . بتّ معه في منزله المفتاح لدى فاطمة .

ـ يجب أن اضع حدا حاسما لحياة العزوبية .

ممكن جدا وضع حد حاسم بعودتي الى السجن .

ـ نستطيع الاستفادة من الفرّاش ..

النادل والمنضدة :

ـ هذا «ربع عرق»

ـ ....

يمد يده الى القنينة . يملأ الكأس . يتجرعها دفعة واحدة .

ـ انت تكاسلت يا استاذ كريم .. لم تزودنا بالقائمة الـ ...

هو لا يدري بأني لا اعرف ، ولا يدري بأني حتى لو عرفت لما زودته بالمعلومات التي تفيده ، وفاطمة ...

ـ اعرف .. احمد اعطاني ..

واحمـد

ـ لا نستطيع الثقة بكل انسان ..

وطاقاتي التي ذهبت هدرا !!.. ومستقبلي !!

ـ ستكون مساعدا لي ...

صب لنفسه كأسا ثانية .

جاسوس حقير ! .. الزاير .

عميل حقير ! .. رئيس سجانين ! .. الزاير .

يفرغ الكأس الثانية في جوفه .

يبقى رئيس سجانين الى الابد !!

مجرم !.. يأخذ الدينار مني :

ـ اطال الله عمرك يا سيدي .

ثم يذهب الى المدير ، حتما .. هو الـذي ذهب الى المدير :

ـ كريم البصري أعطاني دينارا ، وطلب منـي : « لا تزود السيد المدير بأية معلومات .. الاخبار لي وحدي »

فجن جنون المدير . عرف بأني لست معه بقدر ما انا ضـده .

ـ تعالي يا فاطمة .. حرري قرارا بفصل كريم الـ..

يصب كأسا ثالثة .

لا غبي الا انا !! .. كيف وثقت بواحد من الخـدم المخلصين للنظام ؟!

حمار انـا ! .. لمـاذا وثقت برئيس سجانين ؟!

اخذ ديناري ، وذهب الى المدير .

الخدر بدأ يتصاعد الى راسه لذيذا منعشا . رفـع الكأس الثالثة الى فمه .

ابن الكلب !!

واتى عليها .

كريم البصري لن يبيع تاريخه بسهولة .

ـ ستكون مساعدا لي .

في الماضي دفعت الثمن سجنا والآن ...

ـ المدير اصدر امر فصلك من العمل ...

لو انهم وثقوا بي منذ البداية !

يفرغ ما تبقى من القنينة في كأسه .

ـ مع السلامة .

لأول مـرة تتعاطف معي . صوتها كان حزينا . اخيرا، وبعد فوات الاوان عرفت بأن كريم البصري ليس عميلا .

الآن فقط ، وبعدما فقدت وظيفتي ،واصبحت معرضا للاعتقال من جديد .

الآن ، وبعدما تساوينا انا واحمد عبدالله ...

يمسك الكأس . ينظر من خلالها

وجعفر علي ، وكاظم عبيد ...

نقطة ضوء مفاجئة تشع داخل راسه .

لكن الاوان لم يفت بعد !

يتجرع الكأس .

ـ يا نادل ! .. كم حسابك ؟!

٤

افكاره مرنة بسبب الخمر التي شربها ، لكن خطواته واثقـة .

ـ مع السلامة .
وشبح دمعة حلوة يجول في عينيها .
قبل أيـام :
ـ احمد اعطاني ...

أما وقد عرفت مـن هو كريـم البصري ... احمـد عبدالله ليس بافضل مني !
هو معتقل ، وانا مفصول .
ألم يدر في ذهنها سؤال :
ـ ما الذي دفعالمدير لفصل كريم البصري ؟!
ألم يدر في ذهنها :
ـ كريم البصري حذر كاظم عبيد .. لماذا ؟!
والطريق امامه مضيئة .
ان كان لديها شك قليل زال الآن . سأذهب اليها :

ـ يا سيدتي ! .. او يا فاطمة ! .. انا فصلت من عملي بسبب مناصرتي للعمال . حاولت مخادعة المدير من اجل حماية العمال . أعطيت هذا الجاسوس الحقير رئيس السجانين دينارا من اجل .. من اجل .. اللعنة !! ... المهم .. يا سيدتي انا فصلت من عملي ، لكن فصلي لا يمنعني عن ان اضع نفسي وثقافتي وخبراتي تحت تصرف العمال .

خيالاته اكثر حرية . والالوان بأجمعها مضيئة .

نعم سأذهب اليها . اليها .. حالا ..

كريم البصري لن يبيع نفسه . ان كنت قد فقدت عملي فلن افقد شرف النضال .

٥

(الساعة الثامنة مساء)

عندما دخل كريم البصري البار ثانية . كان منهارا . حزينـا . صامتـا .

ـ ((نص ربع عرق)) !

ـ حاضر .

الرواد ضجيج . والمصابيح ظلام . وهــذه الغصة اللعينة التي لا تفارق فمه . كان على شفا حفرة من البكاء.

صبي صغير ، مجـرد صبي صغـير استطـاع ان يهزمني !!

ـ تفضل .

وابتعد النادل .

لا فائدة ! .. ها انا اعود الى ادمان الخمرة !

يمسك بالقنينة .

ابن الكلب !! .. أطرق الباب :

ـ مـن ؟

ـ « الاخت فاطمة موجودة ؟ »
ـ « الاخت فاطمة غير موجودة » .
ـ متى تعود ؟
ـ لا ادري .
ـ افتح الباب !
ـ لمـــاذا ؟!
ـ سأنتظرها في الداخل .
ـ لا .
ابن الكلب ! .. ماذا أفعل معه ؟!
يصب لنفسه كأسا .
ـ ماذا تعني بـ « لا » ؟!
ـ لن افتح الباب .
لمـــاذا ؟!
ـ هي لا ترضى .
ـ لن تغضب منك . انا كريم البصري !
ـ لا اعرفك
يكاد يغص بالعرق .
الغضب يخنقني . عاودت الطرق بقوة . لكن خطواته
انسحبت الى الداخل .

ـ تعال يا ولد !!
وصوتـــه :

ـ لا تتعب نفسك . ان افتح الباب .
يأتي على بقية الكأس .
احسسته يتحداني . يتحداني أنا بالذات .
هل انهزم أمام هذا الصبي الحقير ؟!
الغضب . الانفعال . القهر .
هو غاب في الداخل !!

وبدأ الدوار . كنت بأمس الحاجة لقدح من الليمون. صرخت بأعلى صوتي :

ـ تعال !!

ـ ...

ـ سأعاقبك !!

ـ ...

ستنال عقابك من فاطمة !!

هل أذهب ؟!... أم أرابط عند الباب لحين مجيء فاطمة !!

يفرغ محتويات القنينة .

الدوار في رأسي . الغثيان .

ـ تعال يا ولد !!

ـ ...

ومعدتي الحقيرة بدأت تتقلص .

افتح الباب !!

كنت بأمس الحاجة لقدح من الليمون .

ـ أرجوك !.. افتح !!

لولا الدوار والغثيان لتركت البـاب . كنت عاجزا تماما عن المشي .

ـ افتح يا ولد !!

ـ ...

وبـدأت الارض تدور بأسرع . الغضب . الحزن . القهر . الانفعال .

استندت على الباب ، لكن القيء سبقني اليه .

ـ افت ....

القيء على الباب . على العتبة . على الأرض .

الدوار بدأ يخف . الغثيان ينحسر .
ماذا لو انها وصلت الآن فرأت الباب والعتبة ؟!..
وعيون المارة تندهش :

ــ سكران !

يضع الكأس الفارغة .

ــ يا نادل !

ألنادل يقترب .

ــ « ربع عرق » !

النادل يبتعد .

لولا مسارعتي بالابتعاد لاصبحت اضحوكة للمارة

٦

(الساعة الحادية عشرة ليلا)

اقترب النادل من كريم البصري .

ـ سنغلق المحل يا استاذ !

ـ اغلقوه !

ـ لكننا لن نغلق المحل يا استاذ .. وانت هنا !

يرفع وجهه المحتقن .

ـ كم مرة قلت لي .. سنغلق المحل ؟!..

ـ عدة مرات .. وفي كل مــرة تقول ..((اغلقوه))!

يصمت لثوان .

ـ طيب .. طيب .. كم حسابك ؟

ـ أنت دفعت الحساب مرتين .

يمد يده الى علبة سجائره . يرفعها .

ـ حاضر .. حاضر .. ها انا خارج .

النادل يمد يــده الى كتف كريم البصري ، يساعده على الوقوف .

ـ ابعد يدك !.. لست سكرانا .

يشد قامته . يخطو الى أمـام . ثم يتقهقر خطـوتين الى وراء . قبـل أن يندفع بخطوات مترنحة الى الخارج .

★ ★ ★

الهواء الرطب ، وصمت الشوارع .

الخمر أفضل صديـق ، والصديق وقت الضيق ، والضيق في عالم الاغبياء والاقزام ...

شيء ما أشبه بالمطرقة يراوح داخل رأسه .

وهذا الصداع اللعين !!.. لو حصلت على مسكن!! لكن الحوانيت مقفلة . الناس هنا أشبه بالقطط ، ينامون في أول الليل ..

يعقد حاجبيه .

القطط لا تنـام . عيون القطط أشبه ... اللعنة عليها !!.. وعلى الصبي الذي في بيتها .

ـ فاطمة غير موجودة .

ـ احمد اعطاني ورقة ...

ـ هي لا ترضى .

ـ انا كريم البصري !

ـ هي لا ترضى .

من يدري !.. لعلها قالت له :

ـ ان كان الطارق كريم البصري فأنا غير موجودة .

بل قالت له :

ـ لا تفتح له الباب !

اذن فأنا جاسوس .

★ ★ ★

يستند الى جدار قريب . يتحسس جيوبه . يخـرج علبة سجائره .

الصفة المثلى ... « جاسوس » .

يبحث عن الثقاب .

اللعنة !!.. بقي في البار .

يتجشأ بصوت مسموع . يكتشف مـرور رجل الـى جانبـه .

ـ هل تسمح

الرجل يقف .

ـ « عند كبريت » ؟

ـ نعم .

يقترب منه .

ـ « تاخذ سيجارة ؟ »

ـ لا .. شكرا .

ـ « والله تاخذ ! »

يأخذ . عود الثقاب يضيء الوجهين المتقاربين .

كريم البصري : هل تسمح بسؤال ؟

ـ نعـم .

ـ انظر الى وجهي ..

ـ ما به ؟!

ـ انظر اليه جيدا ... هل انا جاسوس ؟

الرجل يبتسم . يقول وهو يبتعد :

ـ نعم .

كريم البصري يغضب .

ابن الكلب !!

يصرخ :

ـ قف !!.. قف يا رجل !

يدفع صوته بأعلى :

ـ ان كنت شجاعا تعال !.. احذري فأنا .. فأنا ..

ويفرح للتشبيه الذي وفق اليه :

ـ فأنا قنبلة شديدة الانفجار !

لكن احساسا بالحزن يداهمه فجأة :

هم عطلوني !!.. القنبلة ما عادت ...

ومديرنا الغبي :

ـ استاذ كريم أنت ...

ـ استاذ كريم .. متى تزودنا بالقائمة ...

كريم البصري لن يبيع نفسه !!

★ ★ ★

يعاود السير مستندا الى الجدران .

... لن يبيع نفسه !

يكتشف ـ ثانية ـ مرور رجل ، فيصرخ بقوة :

ـ قف يا ولد !!

الرجل يتوقف مبهوتا .

ـ نعم !

كريم البصري يقترب منه . يقرّب وجهه من وجه الرجل .

ـ تحركوا !.. تحركوا !.. حتى متى يستمر هذا الاذعان ؟!

ـ لا افهم !!

ـ هم يقتلون العمال .. اتصدق بانهم يقتلون العمال؟!

ـ لا اصدق .

ـ اذن .. انت غبي !

الرجل يرفع يده . صفعة مدوية تسقط على وجه كريم البصري .

ـ لماذا ؟!

الرجل يبتعد .

ـ قف يا ولد !!.. ان كنت رجلا تعال !!.. احذرني فأنا .. فأنا .. قنبلة .. قنب ...

ثم ينهار باكيا .

ـ لكنهم عطلوني !!

فاطمة

اليوم الخامس



١

ما الفشل ؟!

في البدء كان غيابك .

اما الآن ... فرغم كل العقبات، ورغم كل الاعتقالات، لا زالت خطواتنا تسابق الأحداث ، ورصيد العمال المؤيدين للاضراب يزداد يوما بعد يوم .

احمد عبدالله اعتقل . جعفر علي أعتقل ، ولكن ... هناك العشرات .. بل المئات أمثال احمد عبدالله ، وجعفر علي .

وانت :

ـ الانسان قيمة لدى الآخرين .

ـ الفرد في التنظيم .

ـ التوازن اولا . الـ .. الـ ..

وجاء اليوم الذي حملت فيه جميع مفاهيمك ، واختفيت . كان ذلك بعد ستة أشهر من زواجنا .

وانت :

ـ زواجنا غلطة كبيرة اقترفناها !

أشبه بضربة قاضية .

ـ مـاذا ؟!

دار هذا الحـوار العاصف بيننا اثر خـلاف أبتـدأ بسيطا . لعله كان بسبب زيارة صديـق ، أو شراء ثـوب ، أو ...

ـ زواجنا غلطة ...

لا أذكر . لكن الذي أذكره ان هذا الخـلاف البسيط كان أشبه بالشرارة التي أشعلت النار في الهشيم .

ـ ما هذا الكلام الذي تقوله ؟!

ـ نعم ... نحن تزوجنا لا عـن حب .. وانما عـن ضرورة .

الحيرة :

ـ أنت جئتني مختارا بعد محاولة الهرب الى ايران !!

ـ هو اقتناع وقتي ضمن ظروف معينة .

الضيـاع :

ـ والآن ؟!

ـ مبررات ذلك الاقتناع زالت .

ـ كيف ؟!.. كيف ؟!

ـ ....

وقتها دفنت وجهي في الوسادة ، وانطلقت معولـة . توقعت يدك على كتفي :

ـ أنا آسف يا حبيبتي!.. كلامي وليد غضب وانفعال!!

اما ان تجلس الى جانبي :

ـ فاطمة !.. عزيزتي !..

وليس : « **حبيبتي !** »

ـ انت انسانة رائعة . جديرة بزوج أفضل منـــي . انا ما خلقت لكي اعيش مقيدا . الزواج مسؤولية ، والتزام وأنـــا ...

لم ابك . لم أتكلم . لم أناقشك . وساد بيننا صمت امتد اسابيع .

★ ★ ★

رجل ينام في بيتي ، وانا امرأة ...

كاظم عبيد ينام في بيتي ، وأنا امرأة لي احساساتي . رغباتي . جسدي .

ـ انت انسانة رائعة جديرة بزوج ...

ـ ... انسانة رائعة جديرة بزوج ...

ـ ... رائعة جديرة بزوج ...

ـ ... جديرة بزوج ...

ـ ... زوج ... زوج .. زوج ..

ألا تفهم ؟!.. ألا تشعر ؟!.. ألا تدري ؟!

واليوم . فجر اليوم . أنا خلف البـــاب بانتظار كاظـــم عبيد . توقعته يخرج ليسرق بيت مدير المصنـــع ، وبالفعل خرج ، فسارعت لاغلاق الباب ، وطفقت أنتظره ، وفي صدري عاصفة حقد ، وعندما عاد :

ـ هل وفقت ؟!

فيندهش :

ـ لا أفهم !!

ـ هل وفقت في مشروعك ؟!

دهشته تتضاعف :

ـ لا أفهم !!

وانا الغبية التي لم تفهم ، وأصر على ان اصنفه مثلك.
وأكاد « اصفق الباب في وجهه :

ـ سرقة بيت المدير ؟!

ـ كنت عند زوجتي .

أحسست بالخجل وبتفاهتك . شوقه لزوجته دفعه لارتكاب مغامرة محفوفة بالمخاطر .

وأنت :

ـ الزواج مسؤولية والتزام ، وأنا ما خلقت لكي أعيش مقيدا ...

وفجأة تغيب .. تختفي . تتلاشى . تنعدم لو انك مت لعرفت كيف انساك . أربع سنوات يا ظالم !.. وأمل عودتك يظل يشدني من قلبي ، وقلبي فجر اليوم انتفض .

ـ كنت عند زوجتي .

أنا . هو . الليل .

ـ كنت عند زوجتي .

وتفرعت في داخلي الرغبة الى الرجل . أي رجل . ليس مهما أن تكون أنت . ولو انه قرأ عيني ...

لكنه أكثر نظافة منك . كما هي حال زوجة احمد عبدالله ...

٢

زوجة احمد عبدالله أفضل مني ، وأعود فأقول : لو ان غيابك ليس باختيارك لوجدت كل القــوة على ... لكنت مثلها . في عيني انتظار ، وفي صدري تصميم .

★ ★ ★

ـ أين بيت أحمد عبدالله العامل في ...

فأجابني صبي صغير . أسمر . حافي القدمين :

ـ ذلك هو بيته .

التعب ينز من جميع مسامات جسدي . هــو اليــوم الأول للاعتقال ، وبالرغم فهنالك الفرحة .

ـ ذلك هو بيته .

وتتسابق أرجله الرفيعة .

ـ تعالــي .

تابعت خطوه. ولج بابا من الصفيح. عيناي مشدودتان الى فم الباب . ثم لفظه ظلام الباب .

ـ ها هي !

اصبعه الصغيرة تشير ناحيتي . ومن خلفه وقفت امرأة .

ـ نعـم !

تساؤلها رافض .

هل أصدم ؟!

متوسطة الطول . سمراء بوجنتين . . .

سوء التغذية !

واقتربت .

جميلـة !!

عيناها سوداوان ، واسعتان ، شعرها . . .

نحيلة !.. صدرها لا يملأ الثوب !!

وانحدرت عيناي الى أسفل . طفل صغير يتشبث بطرف ثوبها .

هو **ابنهما** .

عيناها في عيني :

ـ نعـم !

تساؤلها الرافض يلفظني . كنت على مدى خطوة منها . تتفحص ثيابي بفضول ، ولا تنتقل بعينيها الى جسدها .

ـ نعـم !

ـ أين احمد ؟

رد سريع جدا :

ـ ماذا تريدين منه ؟!

ـ لأمر مهم !

ـ ما هو ؟!

خيبة الأمل ازاء قسوتها .
أنا لم أفعل شيئا يغضبها .
ـ أمر مهم !
ـ ما هو هذا الأمر المهم ؟!
الاندحـار :
ـ أنا زميلته في المصنع . جئت من أجل.. من أجل..
ترددي وانتظارها المستوفز .
انت لا تعرفين !!

واحساس مقيت بالذل . عيناها صقر . وتصاعـدت غصة الى فمي :
ـ جئت من أجل .. من أجل .. أنت لا تعرفين !
ـ ادخلي !
لا أصدق أذني . تعاطف مفاجىء يشوب صوتها .
ـ أنا أعرف .
ما كانت تبتسم ، لكن لهجتها تفاهم
ـ الاضراب ؟.. أليس كذلك ؟!

ـ نعم .. نعم .. والأمر مهم جداً !.. أريد رؤيتـه في الحـال !!

عيناها تغيمان .

ـ أخـذوه .
فمي يفلت صرخة :
ـ مـن ؟!
ـ الشرطـة .
ـ متى ؟!
ـ قبل ساعة .
قتامة الصمت ، ولا جدوى قول :

ـ وصلت بعد فوات الأوان !

لا تعقب على كلامي بشيء . تمد يدها الى صدرها . تخرج ورقة . تدفعها الي .

اخواننا العمال ...

نطالب .. ونطالب .. مطالبنا أو ...

هي ذات الورقة التي في حقيبة يدي ، عدا اضافة جديدة كتبت بالقلم الرصاص ، وبخط لا يكاد يقرأ :

ونطالب بالافراج عن عمالنا المعتقلين فورا .

لم أسألها :

ـ من الذي أضاف الجملة الأخيرة ؟

عيناها تصرخان بأنها من فعل .

٣

نبأ اعتقال احمد عبدالله ، وجعفر علي ضاعف من حافز العمال على الاضراب ، والورقة التي أضيف عليها بالقلم الرصاص :

نطالب باطلاق سراح ...

وصلت أيدي العمال . فطبعت بصيغتها الجديدة ، ووزعت بشكل موسع شمل ـ حتى ـ المدير .

ـ خذها غدا الى المدير .

الزاير كان قد حملها اليه .

ـ ما هذه ؟!

ـ وجدتها ملقاة بين الآلات .

★ ★ ★

ـ كلهم خونة !.. مخربون .. فوضويون!.. يسعون الي تحطيم اقتصادنا الوطني ، واحراج موقفي مع ..

كان منفعلا . غاضبا . يذرع الغرفة بخطوات سريعة ، ودخان غليونه ...

ـ لا بد من وضع لنشاطاتهم التخريبية !

ثم يتوقف أمامي .

ـ هل رأيت المنشور الأخير ؟!

ـ منشور !!

ـ انظري !

ويدفع الي بالورقة التي كنت قد أعطتها للزاير .

ـ الفراش وجده على الأرض بين الآلات .

أستحضر حيرتي :

ـ وماذا نفعل ؟!

فيرد بحيرته :

ـ ماذا نفعل ؟!.. ماذا نفعل ؟!

يعود يذرع الغرفة .

ـ ماذا نفعل ؟!.. لا سبيل أمامنا غير اعتقال جميع العمال !

ضحكة مباغتة كادت تنفلت من فمي .

ـ في هذه الحالة يتوقف عمل المصنع !!

يلتفت الي . ابتسامة منهزمة على فهمه .

ـ أعرف ... أعرف ... أنا لست جادا فيما قلت .. لكنني محتار !.. محتار يا فاطمة !! هم اشبه بشياطين تتوالد على نفسها .. كنت أعتقد .. اعتقال احمد عبدالله وجعفر علي سيضع حدا ..

★ ★ ★

ان كانت حيرة المدير قد أفرحتني ..

ـ تم نقل احمد عبدالله ، وجعفـر علي الى معتقـل مجهول .

نزل علي نزول الصاعقة .

ـ ما عدنا نعرف من اخبارهما شيئا .

وتذكرت كاظم عبيد .

ـ لن نعدم وسيلة للاتصال بأحمد ...

ـ هو معتقل ...

وما عدت أجد القدرة على قول :

ـ كاظم عبيد ينتوي سرقة بيت المدير .. فما رأيكم ؟

الفكرة ـ بحد ذاتها ـ أحسستها دبقة داخل [illegible] ، وتافهة كموضوع لسؤال .

★ ★ ★

لهذا السبب ...

ـ ماذا تم بشأن موضوعي ؟

ـ لا شيء .

ـ لمـاذا ؟!

ـ لم أجد الجرأة على السؤال .

يتطلع الي كاظم عبيد غير مصدق .

ـ أمس اتفقنا ...

فأقاطعه :

ـ الفكرة ليست منطقية !

دهشته تتضاعف :

ـ كيف ؟!

ـ ستدخلنا حربا جانبية نحن في غنى عنها !

ـ لكن حربنا هي ...

أرفع يدي في وجهه .

ـ ولعلمك أيضا .. تنقل كـل من احمـد عبدالله ، وجعفر علي الى معتقل مجهول ، وانقطعت أخبارهما عنا !

الجزع في عينيه .

ـ متى ؟!

ـ البارحـة .

ـ ستتم تصفيتهما جسديا !!

ـ ....

تسود لحظات صمت يهمهم بعدها :

ـ مجرمون قذرون !

ـ ....

ثم يتطلع الي .

ـ ألم أقل لك بأن حربنا ...

هو ينوي طرح مشروعه للنقاش مجددا . قلت :

ـ ارفع فكرة سرقة بيت المدير من راسك !

ورفعتها أنا . لا وقت لدي للتفكير بها . أمامي ممهـة تستحوذ على كل اهتمامي . لا بد من ذهابي لبيت جعفـر علي . أمه تنتظر خبرا عنه .

كاظم عبيد

اليوم الخامس / السادس



١

انسانة غريبة !.. شاذة الطباع !.. ناقصة الثقافــة! تفتقر الى الفهم ! والنظرة الموضوعية !.. والا .. عــلام تغضب مني ؟!.. ما ان أحدثها عن مشروعي ..

ـ الأفضل ترك هذا الموضوع !

كيف ... والحرب بيننا وبينهم قائمــة ؟!.. أليست حربا طبقية طاحنة ؟!

ـ مشروعك لن يضيف شيئا .

ما أدراها بالنتائج ؟!.. علام لا تقول :

ـ سيزداد فزع المدير . ستتشل قدرتــه على التفكير السليم . الضربات تأتيه من كل جانب ؟!

لو انها تمعنت. فكرت. ثورة كوبا . المنظمات اليسارية في امريكا اللاتينية .. الخطف . الفدية . مهاجمة المصارف. مشروعي فقط هو الذي لن يضيف ..

ـ سيحرج الزاير !

من هو الزاير ؟!.. ولماذا لا يحرج ؟!.. علام لا يدفع الثمن كما ادفع أنا .. وكما دفع احمد عبدالله وجعفر علي، والمئـــات .. الآلاف ؟! هـــل سيضيره حمـــل جزء مـــن المسؤولية ؟!

ـ تم نقل .. الى .. مجهول ..

الم تتوقع مثل هذا ؟!.. اتظن بأننـــا نناضل ضمـــن ظروف ديمقراطية ؟! عدونا لا يتورع عن شيء ، ونحن نتردد أمام مشروع سرقة من سرقونا !!.

هي غبية !.. جبانة !.. حجتها في البداية :

ـ لا بد من استشارة احمد عبدالله .

وافقتها . رضيت . أنتظرت . لم أستعن بحبل غسيل بيتنا ، لانجاح جولة البارحة .

كل هذا من أجل **استشارة احمد عبدالله** ، والآن أين احمد عبدالله ؟!

لماذا لا اعطى فرصة الأخذ بثأر احمد عبدالله ؟!..

كيف سمحت لنفسها باتخاذ مثل هذا القرار المصيري؟!

ـ ... ترك .. الموضوع ..

٢

(الساعة الواحدة بعد منتصف الليل)

الظلام . الهدوء . وفتح كاظم عبيد عينيه على سعتهما . لم ير السقف ولا المروحة .

الوقت حان !

تملكه احساس منعش بحرية مباغتة .

الى العمل .

سحابات فرح طفولي تزدحم في صدره .

هي تنام .

استوى جالسا .

ـ مشروعك لن يضيف شيئا .

ماذا تظن بنفسها ؟!.. وكيف عرفت بأن مشروعي لن يضيف ؟! مسكينة !.. امرأة !.. مجرد امرأة مهجورة تجد في العمل السياسي متنفسا لكبتها الجنسي .

مد يده تحت كرسي قريب . وقعت على حذاء مطاطي .

ـ استعداد كامل للعمل .

وضع قدمه اليسرى في الحذاء .

الأفضل لها ان تنام وتترك العمل للرجال .

ثم اليمنى .

- لا بد من استشارة احمد عبدالله .

أين احمد عبدالله ؟! هو بحاجة لمن يدافع عنه . ينتزع حقه من براثن المغتصبين !

تحسس طريقه الى باب الغرفة .

متى تفهم بان حربنا هي حرب طبقية لا هوادة فيها .. نحن بأمس الحاجة لاستخدام جميع أنواع أسلحتنا ؟!

خرج الى بهو المنزل .

من الأفضل لي ولها أن تظل نائمة !.. مسكينة .. قلبها رقيق . تخاف على الزاير . تعطف على المدير . لها كل الحق ما دامت سكرتيرته الخاصة .

مع نفسها تتساءل :

- ما الداعي لسرقة بيت المدير ؟!

وهي أعجز من أن تجد الجواب .

برأيها :

- لا تدخلنا حربا جانبية ...

وصل مدخل السلم . وتلمس طريقه الى أعلى .

سأستعين بحبل غسيلها. لن أمر ثانية بفشل البارحة. حبلها متين وجيد . بعد ساعتين - على الأكثر - ساعيد الحبل الى مكانه . لا بد أن أعود بحصيلة محترمة مع .. مع مسدس .

مد كفه مفتوحة الأصابع . الحبل على لحمة كفه . أطبق أصابعه .

اهلا !

أعمل أصابعه في تخليص الحبل من ضابطيه .

عائلة احمد عبدالله . عائلة جعفر علي . عائلـة كاظم عبيد ... ثلاث عوائل فقيرة بأمس الحاجة الى مال. ظروف الاعتقال من جهة ، وهربي من جهة أخرى . ومن يدري ... لعل مشروع الاضراب يمنى بالفشل ...

رفع قميصه الى أعلى . ثبّت طرفه تحت ذقنه ، وبدأ يطوي الحبل على بطنه .

مشروعي أنا لن يمنى بالفشل . لا بـد من توفير المـال لضمان صمودنا الى النهاية .

أخذ طريق النزول .

هربي بحد ذاته عملية ناجحة جدا . وجودي خـارج ظروف الاعتقال سيساعـدنا علـى الاستمرار بالصمـود . سيكون بيت المدير هو الهدف الأول . جميع الخبرات مـن أجل الاضراب .

مزلاج الباب . أصابع مرنة مدربة . الباب. ألطريق.

ايام زمان !

وانطلق مسرعا ، معتمدا ظلال الجدران ..

أية قوة لن تستطيع منعي عن ...

الطرقات خالية تماما . الصمت يكاد يكون شاملا، عدا نباح كلاب وصفارات حرس تأتي اليْه بصدى بعيد .

متى تفهم بأن حربنا ...

ـ الاضرار اكثر من ...

سانفذ ، وسنرى !

٣

قفز السور بخفة ، ثم جلس القرفصاء داخل الحديقة. الصمت . الهدوء الشامل . البيت الذي يقبع بين الاشجار وسط ظلام دامس .

رئيس السجانين .. أهو نائم ؟

تقدم الى أمام بحذر . اتكأ بكتفه على جذع شجرة محاذية لجدار المنزل. رفع قميصه الى أعلى، وبدأ بالحبل.

سنرى من الأقوى .. أنا أم رئيس السجانين ؟

أعمل يديه وقدميه في جذع الشجرة . تسلقها .
لكن احمد عبدالله قال :
ـ الأفضل أن لا تفتخر بممارستك للسرقة !
ـ انا ... ضباط الشرطة فقط .
ـ ... الثوري الحقيقي لا يمارس عمليات ارهابية .
ثم **قال :**
ـ أهلا بك وبكل العمال الطيبين .

ـ ما كنت حزبيا عندما قدمت براءة .. فهل ستقبلوني في صفوفكم ؟

يضع يده على كتفي :

ـ أنا مجرد عامل .. مثلك .

لهجته ليست رفضا ، هي أشبه بتشجيع .

ـ الأفضل الا تفتخر ...

والآن .. ما هو رأيه ازاء عمليتي هذه ؟!

ثبّت قدميه بين فرعين . استوى واقفا عقد طرف الحبل على شكل حلقة . حدد بصره ناحية مدخنة المطبخ .

هذه العملية ستضعهم أمام أمر واقع . ستجبرهم على قبولي عضوا في صفوفهم .

رفع يده الى ما وراء كتفه ، وباليد الأخرى أمسك الطرف الثاني . طرف الحبل « الحلقة » يطوق المدخنة . « يلبس بها » .

يشد الحبل . يتأكد من قوة المدخنة . يطبق كفيه بقوة على الحبل . يقفز . الثقل . الجسد الذي يمتد ملتصقا بالجدار .

لو كان الحبل من الليف !

يستعين بكفيه . يتسلق .

★ ★ ★

على السطح ، وأرهف اذنيه . لا صوت . لا حركة . أمسك طرف الحبل ، وعاد يطويه على بطنه ، ثم بحث بعينيه عن مدخل السلم .

عسى أن يكون رئيس السجانين نائما !.. مستغرقا..

وانحدر بهدوء على السلم . الظلام في الأسفـل أشد
نحسس الجدار . مفتاح النور .
احـذر !!
مشى الى أمام . باب غرفة . المقبض بهدوء . صريـر
خافت . أنفراج قليل . نور ضعيف يأتي من نافذة الغرفة .
مخزن .
لم يغلق الباب . عاد يتحسس طريقه . باب آخـر .
مقبض ناعم . بهدوء . صرير خافت . انفراج قليل . نـور
ضعيف يأتي من نافذة الغرفة .
الآن .
سرير وثير يتوسط الغرفة . جسدان ..
حتى وهو نائم لا براءة على وجهه !
يعقد حاجبيه .
هذه العملية ستمحي عار البراءة .
جسد المدير يمتد على السرير . يستحوذ علىالسرير .
يبدو أضخم مما هو في المصنع !
وفي الطرف الثاني ترقد الأخرى .
النعومة . اللذة ..
يفتح الباب اكثر .
محظوظ في كل شيء !
يخطو الى الداخل .
كيف تستطيع احتمال ثقل جسده ؟!
يقترب . يقف في منتصف الغرفة .
أين رئيس السجانين الآن ؟!
دار بعينيه . الأثاث . الأدراج . الجدران . المشجب .
الملابس .
اقترب من المشجب . أصابعه ــ مباشرة ــ في الجيبالداخلي
« للجاكتة » .
المحفظة .

دسها في جيبه .
الأشياء الأخرى .
اقترب من منضدة الزينة . الزجاجات . صندوق صغير .
حلي المدام .
ثم اتجه ناحية الباب ، وقبل أن يغادر القى نظرة . المدير لا يزال يسيح على السرير .
هو غير جدير بهذه الزوجة اللذيذة !
لا يغلق الباب .
بامكاني خنق انفاسه . قتله ... ماذا لو انهم ـ بعد هذه العملية ـ أمروني بممارسة الاغتيال الى جانب السرقة؟!
يقف .
المسدس !
يرهف أذنيه .
رئيس السجانين !
يمشي الى أمام .
أين يختبىء ؟!
أحد الأبواب على اليمين . المقبض . انفراج صغير .
غرفة الأكل .
أذناه تلتقطان صوت شخير يأتيه من ناحية الدهليز .
أهلا .. أهلا ..
يتلمس طريقه .. الشخير يرشده .
معا .. أنا وأنت فقط ...
الشخير يقترب . يقترب .
ها هو !
الشخير تحته . قدمه تدوس طرف فراش على الأرض . يجلس بهدوء . يمد أصابعه تحت طرف الوسادة الشخير ...
أين وضعه ؟!

الى ما تحت طرف الفراش .
عليه اللعنة !!
زفرة يأس كادت تفلت من صدره . أعمل مخيلته .
لعله وضع المسدس في أحد جيوبه !
رؤوس أصابعه تتحسس جسد الزاير . الشخير يضطرب .
احذر !!
ينتظر لثوان . الزاير يتحرك . ينقلب . كاظم عبيد يأخذ وضع الاستعداد .
لا بد من مفاجأته بضربة قاضية !
الشخير يعود منتظما .
هذا أفضل .
رؤوس أصابعه ثانية .
لن اعود بدون المسدس !
شيء صلب يصدم أصابعه .
أخيرا !!

* * *

المسدس في كفه .
الخروج من الباب أسرع .
صرير متقطع . شخير منتظم . نور ضعيف يغمر جسد الزاير .
الخطة . النجاح .
كاظم عبيد يبتسم ، ولا يغلق الباب .

* * *

اغصان الأشجار ساكنة تماما ، والسور ...
مسدس .. مجوهرات .. محفظة ...
فرحة أنتصار ، وصوت صفارة يتردد في البعيد

٤

لا زال الحظ يخدمني !

همس كاظم عبيد لنفسه .

هي لم تشعر بخروجي .

كان الباب ـ كما تركه ـ مواربا . دخل ، وأغلقه من خلفه بهدوء . وبينما هو بصدد الاستقرار في فراشه ..

الحبــل !!

ثم سارع بالصعود الى سطح المنزل .

لن ادعها تعرف . لو عرفت ـ الآن ـ لغضبت .

بدأ يحكم رباط الحبل .

هي تخشى احراج رئيس السجانين، وازعاج الـ ... سيد المدير .

اخذ طريقه في النزول .

غدا صباحا سأقول لها :

ـ أرجو ان توفري لي فرصة الاتصال بأحد المسؤولين من العمال ...

هي لن تقول :

ـ لماذا ؟!

لأن لهجتي ستكون رصينة تشعرها بالأهميةوالخطورة الى جانب الضرورة ..

يستلقي على الفراش .

ومن أفواه العمال في المصنع ستسمع أخبار العمليـة مزكاة بالتأييد والتبريك .

★ ★ ★

بدأ نور الفجر ينفذ الى الغرفة عبر النافذة المطلة علـى الشارع عندما أطبق كاظم عبيد جفنيه ، هو لم يستطع النوم بعد عودته مباشرة .

فرحة العمال . العمليات القادمة . الحرب الطبقية . العضوية . الأوامر . الطاعة . التنفيذ . الثورة .

افكار كثيرة ملأت ذهنه ، وتسببت في أرقه .

٥

الصحراء تمتد مترامية . الشمس لافحة . العرق يتضبب من جميع اجزاء جسده .

ـ متى نصل الكويت ؟!

ـ بعد خمس أو ست ساعات .

سأموت أجهادا وعطشا قبل وصولنا !.. وهؤلاء الايرانيون يلوذون بصمت قاتل .

اقترب من أحدهم :

ـ هل معك ماء ؟

ـ ....

الايراني لا يسمع . يظل يتابع المشي ، وعيناه معلقتان بالأفق البعيد .

ـ خلف تلك التلال البعيدة يقع « المطلاع »

الجفاف في فمي . لساني أشبه بقطعة خشب . سأموت !.. حتما سأموت قبل وصولنا الكويت . .

★ ★ ★

الاحساس بالقهر . الحزن .
وشيء أشبه بنقطة ضوء بعيد تلتمع داخل رأسه
انا لست مسافرا ... انا ...
فرحة صغيرة .
انا احلم .
الوعي . يفتح عينيه . هو لا يزال ينام في بيت فاطمة.
بقعة كبيرة من الشمس تغمر رأسه وصدره .
الشمس من النافذة !
الجفاف الحاد في فمه .
انا بحاجة لقدح ماء بارد !
الوعي يجتاحه بأقوى .
ترى ... كم الساعة الآن ؟!
استوى جالسا .
هي خرجت !.. حتما ذهبت الى المصنع !.. النـوم غلبني .. كنت بصدد ..
ـ وفري لي فـرصة الاتصال بأحـد المسؤولين مـن العمـال .
اللعنة على نفسه داخل رأسه .
لا بد من الانتظار حتى الغد !.. الصبر حتى الغد ..
من أين لي بالطاقة على الانتظار ؟!

٦

دار المفتاح في قفل الباب ، ودخلت فاطمة مسرعة .

ماذا حدث ؟!

عادتها في الأيام الفائتة ، تدخل ، تبتسم .

ـ مساء الخير .

وأحيانا تضيف :

ـ كيف قضيت هذا الصباح ؟

أما الآن .. فها هي تجتاح الغرفة . تقف أمامه . يبادرها :

ـ مساء الخير .

لكنها لا ترد . كانت تقف أمامه مباشرة .

ما بها ؟!

غضب عنيف وحزن شديد يتناوبان وجهها .

لم ارها بمثل هذا الانفعال من قبل !

يستجمع لسانه :

ـ هل هناك احتفالات جديدة ؟!

ـ ....

ـ ماذا حدث يا فاطمة ؟!

زاوية فمها ترسم ابتسامة ساخرة مليئة بالاحتقار .

ـ الا تدري ؟!.. أانت الذي لا يدري ؟!

أحس بنفسه يدري ، ولم يعد يملك القدرة على الكلام .

ـ أانت غبي ؟!.. أم تظنني غبية الى هذا الحد ؟!

هي تشتمني !

القهر . الرفض . الفزع .

هي لن تتورع عن ...

والتصق بباطن الكرسي .

ـ لماذا تخدعني ؟!

ـ ....

ـ في بيتي وتخدعني ؟!.. ما الـذي جنيته من وراء مشروعك السخيف ؟!..

... ولماذا الزاير بالذات ؟!

كان عاجزا عن التحديق في عينيها .

ـ لماذا ؟!.. لماذا ؟!

وتبدأ حدة انفعالها تخف . تتراجع الى وراء. تصطدم بكرسي . تتهالك . تدفـن وجهها في كفيهـا . وباحساس المظلوم وانهياره تقول :

ـ لماذا يا كاظم ؟!.. أهكذا اتفقنا ؟!

أراد القول :

ـ لم نتفق على شيء .

لكنه صمت . لو فتح فمه لانهارت باكية .

ـ ما الفرق بينك وبين كريم البصري ؟!

ـ ....

ـ **هل دار بذهنك انه أفضل منك ؟!.. هو على الأقل يعاني فشله !..**

.. قضى ليلة البارحة موقوفا بتهمة السكر .. وأنت أين قضيتها ؟!

ترفع كفيها عن وجهها . يحاول الهرب بعينيه منها .

ـ **لماذا السرقة بالذات ؟!.. الزاير بالذات ؟!**

ـ ....

ـ **أتدري بأن رجال الأمن ألقوا القبض عليه بتهمة التواطؤ مع السارق ؟!**

ـ ....

ـ **هل يدور في ذهنك ان هذا الرجل الذي هو بسن أبيك يتعرض الآن للضرب ؟!**

تعض على شفتها .

ـ **والمصيبة تكمن في ... الزاير يعرف السارق !**

تسود ثواني صمت مشحون بالتوتر . ينكس رأسه . يتمتم :

ـ **كنت أظن ...**

فتقاطعه :

ـ **كنت تظن .. محفظة المدير تكفي العمال شر العوز، والحلي تزين صدور نسائهم ، والمسدس للكفاح المسلح .. أليس كذلك ؟!**

ـ **انا لم اسرق المسدس .**

ابتسامة الاحتقار تعود الى زاوية فمها :

وتجرؤ على الكذب !! ... هل يتهم الزاير نفسه ؟! .. من سيدفع ثمن الضرب الذي يتعرض اليه الآن .. المدير ليس غبيا كغيره . صباح اليوم قال لي : « السارق

متواطىء مع الزاير .. والا كيف عرف بوجود المسدس فاتجه اليه مباشرة ، وسرقه » .

كاظم عبيد يهمهم :

ـ سأذهب الى الشرطة واسلم نفسي .

ترفع حاجبيها دهشة .

ـ يا للنبل ! .. يا للتضحية ! .. وماذا ستقـول لهم ؟! .. انا كاظم عبيد الهارب من .. اقدمت على سرقة .. بعد معرفتي لـ ...

تنهض . تقترب منه :

ـ أشد ما آلمني انك خدعتني !

ثم تشيح بوجهها عنه :

ـ لكنك مجرد لص ...

٧

هل يستطيع البقاء في بيتها دقيقة أخرى ؟!

ساغادر بيتها الآن معرضا نفسي للاعتقال !

أحساسه بأنه مظلوم ، ومظلوم جدا يطغي على جميع انفعالاته الاخرى .

هي لم تسمح لي بتوضيح وجهة نظري !!

اتجه نحو الفراش .

لا فائدة ! .. هم لا يؤمنون بالعنف الثوري !!

رفع الوسادة . المحفظة ، وصندوق الحلي .

لتعيدهم الى مديرها .

وضعهما على الكرسي .

اما هــذا ....

ثم اخفى المسدس في طيات ثيابه .

ـ ما الفرق بينك وبين كريم البصري ؟!

ـ سنحتاج الى جمع بعض التبرعات بعد ...

ـ اياك ان تقدم على اية خطوة دون ...

ـ اياك ان تقدم على اية خطوة قبل ...

ـ من الذي طلب اليك ...

ـ الاضرار اكثر ...

لا فائدة ! ... هم لا يؤمنون بالعنف الثوري !!

تلفت حواليه . حذاء المطاط .

الكويت احسن . لن اعـدم وسيلة للاتصال باحـــد المهربين ...

ـ لن نعدم وسيلة للاتصال باحمد .

لكنها عدمت . وان استطعت الافـــلات من ايـدي الشرطة ، فسأذهب الى الكويت .

كان في طريقه للمغادرة عندما حانت منه التفاتة ناحية المحفظة .

عـاد اليها . انتزع منها ورقتين .

عشرون دينارا . مصاريف سفر .

فاطمة

اليوم السادس



١

الاحداث تسابق نفسها . التطورات لا تحدث في المصنع والشارع فقط ... بل احسها تتنامى في داخلي .

كل شيء يسير في طريقه الحثيث الى الامل .
انقطاع اخبار احمد عبدالله وجعفر علي لم يثبط من عزيمة العمال ، بل انه وقود جديد يغذي ...

والمدير شغلني صباح اليوم ...
ـ كوني على اتصال دائم بمديرية الامن .. اريد معرفة تطورات اعتراف الزاير أولا بأول !
اعتقال الزاير احزنني ، لكني استمد الابتسامة من اصرار العمال ، وفزع المدير .
كاظم عبيد غادر الى حيث لا ادري بعدما ترك المحفظة والحلي .
وكريم البصري جاءني بالأمس مخمورا ، لكن ابنك ـ كعادته ـ اخضعه لامتحان قاس . تقيأ على الباب ...
صباح اليوم عرفت من العمال :

ـ قضى ليلة البارحة معتقلا بتهمة السكر والعربدة في الطرقات .

وأبنك .. لست ادري كيف افلت فمه :

ـ ماما ..

كانت طبيعية جدا . تساءلت ساعتها :

« ـ هل نسي ؟! .. أم اني بالنسبة اليه صرت .. »

ـ متى نذهب لزيارة اختي ؟!

لقد استطاع هذا الشيطان .. ابنك .. ان يجسدني أمومة رأعشة ضمن عينيه الحلوتين .

مـامـا ...

وعندما ذهبت امس لمقابلة أم جعفر علي :

امه تنتظر خبرا عنه .

ترابطت الكلمات في ذهني وأنفرطت عشرات المرات .

كيف اخبرها ؟!

لم تدم حيرتي .

ـ ليست المرة الاولى يا ابنتي .

صوتها ليس حزنا مستسلما . هو حزن ينتظر .

وكذلك الحال مع زوجة أحمد عبدالله ... لكن الذي يعاندني هو احساسي بأني اكاد اكون تافهة بالنسبة اليها .

لست ادري علام اظل اصر مع نفسي على اجراء مقارنة بيني وبينها ؟!

اليوم .. لم اكابد مشقة العثور على المنزل . رفعت يدي كي اطرق باب الصفيح ، فاذا بها فيه .

ـ اهلا .. تفضلي !

صوتها محبة ، ورفقة حلوة . طفقت اصطاد الكلمات:

ـ الشرطة .. السلطة .. مكان الاعتقال .. النقل .. الاخبـار ..

وكانت تنظر الي بمشاركة ، وكأني انا المصابة ، لتقول اخـيرا :

ـ ادري .

ثم سارعت بالالتفات الى ابنها .

ـ ابتعد يا ولد !

تنبهت لوجود الطفل بين ركبتي كان باربع سنين .

لو انك ابقيت على طفلنا !!

مددت يدي اليه ، وصوت أمه محذرا :

ـ انتبهي يا فاطمة ! .. ثيابه قذرة !

وعلى صدري كان الطفل يخفق .

★ ★ ★

الطفل نسخة حلوة ، مصغرة عن ابيه . لكنك اجهضت طفلنـا !!

الدمعة في عيني ، وقلت لك :

ـ دعه لي ! .. انا احبه !

كان ذلك بعد عودتك من قضية الهـرب الى ايران ثلاثة شهور ، وكنا في الايام الاولى لزواجنا .

ـ دعه لي ! .. انا احبه !!

تبتسم ، وكأنك لا تشاركني حزني .

ـ غريب امر هذا الجنين ! .. كيف تخلق من مرة واحدة ؟! .. كنا واقفين ، ورغم هذا تخلق !!

تضحك ، وتستطرد :

ـ سيصبح سائق قطار .. لو عاش !

ضحكتك تمتد اكثر . لا اشاركك . تصمت . اهتمام صغير على وجهك ، ثم تقول بلهجة أقرب الى اللامبالاة :

ـ المهم ... كيف نتخلص منه ؟!

تلك هي القضية الوحيدة التي تشغلك .

ـ الطفل بدأ ينمو في رحمي ! .. هو انت !!

تلتفت الي . صوتك يرق :

ـ والناس !! .. كلام الناس ! .. ماذا سيقولون لو جاء الطفل بعد ستة اشهر من زواجنا ؟!

فاتشبث :

ـ دعهم يقولون ما يقولون .. هو طفلي !!

تمد يدك الى وجهي . تتوجه كلك الي . تمسك ذقني بين أصابعك :

ـ فاطمة ! .. حبيبتي ! .. يهمني جدا احترام الناس لك .. الانسان قيمة لدى الاخرين .

عيناي في عينيك ، واتوسلك :

ـ لكننا زوجان !!

حاجباك ينعقدان :

ـ والطفل الذي تخلق قبل زواجنا بثلاثة اشهر ؟!

ـ لا يهم .

ـ واهلك ؟!

ـ الى الجحيم .

ـ والناس ؟!

ـ لا شأن لهم بنا .

ـ وانـــا ؟!

فأصطدم بمرآة حجرية .

ـ انت مـــاذا ؟!

ـ سيقولون : « تزوجها لا لأنه يحبها ... بل لأنه خدعها »

ـ خدعهـــا ؟!!

ـ « ضاجعها . حبلت منـــه . فتزوجهـا اتقـــاء الفضيحة . »

ـ ولكن ...

يخنقني صوتي ، فتأخذني الى صدرك .

★★★

صدرك .. صدرك .. واين هو صدرك ؟! .. اربع سنوات يا ظالم ، وانت لا تدري ، ولا تسأل .

بعد اختفائـك توجهت بسؤالي لكـل من يعرفـك

البعض قال :

ـ لعله هاجر الى كندا .

واخرون :

ـ الى استراليا .

واهلـك :

ـ يقال .. « في قبرص » .

وانت :

في العدم .

٢

الليل عبور . الناس عبور . الشـوق عبور . وانت الضفـاف .

هذا ما كان طيلة السنوات الاربع . سنوات العمر .. **غيابك .**

اما الآن فهناك ضفاف اخرى . ضفـاف مضيئة تجذبني اليها . ليس كما تنجذب الفراشة الى اللهب ... **انت .**

وكنت تقول :

ـ الفرد في المجموع ...
ـ التربية في التنظيم ...
ـ العمال هم العماد الاساسي ...
ـ الوجود في العمل ...

كلمات كبيرة . لكنها ـ **معك** ـ مجرد كلمات . كنت تجيد التعامل مع الكتب **فقط .**

هذه الكلمات بحاجة الى عمل ، وعندما غادرتني ، هجرتني ...

تساءلت وسط الضياع واليأس :

ـ ما العمل ؟!!

وعينا أبنك تتابعان هلعي .

ـ اين البابا ؟!

ـ ....

ـ متى يعود ؟

ـ ....

بحثت عن السبب . بحثت عن المبرر . لم أجد الـ ولا المبـرر .

★ ★ ★

ماذا لـو انـك عـدت الآن ؟!.. اظنني سأستقبلـك قائلـة :

ـ كيف حالك ؟ .. ابنك كبر ، لكنه سيرفضك ايضا .

اليوم السابع

المكــان : ....
الاشخاص : ....
الحالة : الضفاف الاخرى

. . . . . .

للمؤلف

البقعة الداكنة	مجموعة قصص
كانت السماء زرقاء	رواية
المستنقعات الضوئية	رواية
الحبل	رواية
الضفاف الاخرى	رواية
ملف الحادثة ٦٧	رواية

(الروايات الأربع: رباعيـة)

تحت الطبع

الاقفاص واللغة المشتركة	قصص

الفهرس